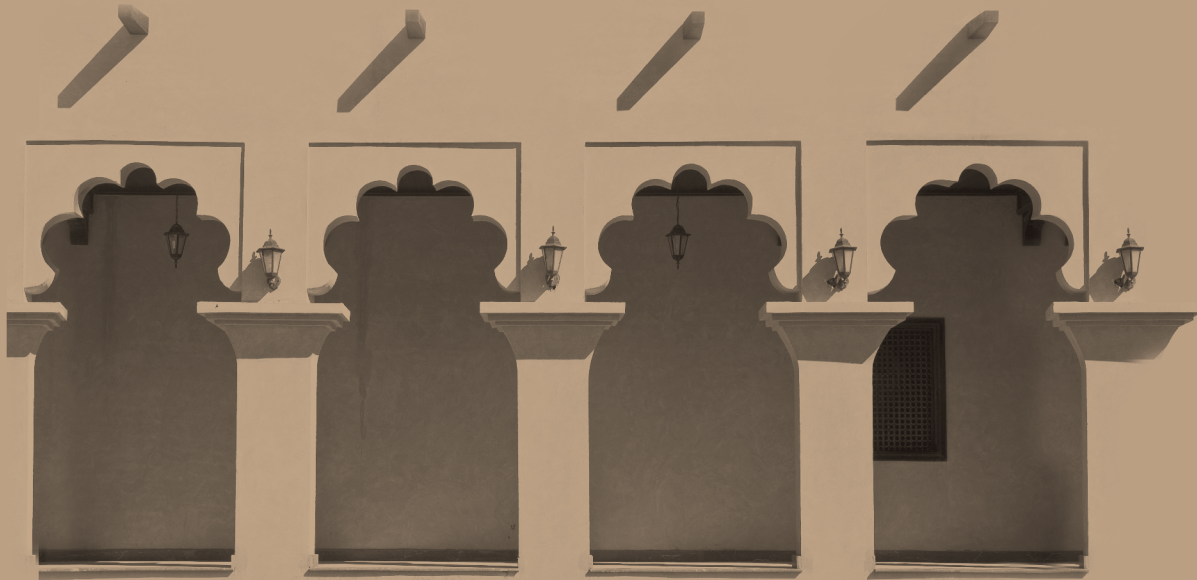


# الدهريز

علي محمد المطروشي  
مستشار في التراث والتاريخ المحلي



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث  
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

الدهريز

علي محمد المطروشي

مستشار في التراث والتاريخ المحلي



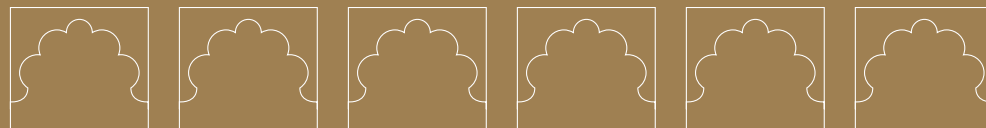
ISBN: 978-9948-774-80-8

# الدهريز

علي محمد المطروشي  
مستشار في التراث والتاريخ المحلي



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث  
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER



# القهريز

علي محمد المطروشي  
مستشار في التراث والتاريخ المحلي



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث  
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث  
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

© جميع الحقوق محفوظة لدى :  
الناشر : مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث  
ص.ب 333500، دبي، الإمارات العربية المتحدة  
هاتف: 373 7000 (4 971 +)  
البريد الإلكتروني: info@hhc.gov.ae  
الموقع الشبكي: www.hhc.gov.ae

الطبعة الأولى: 2023

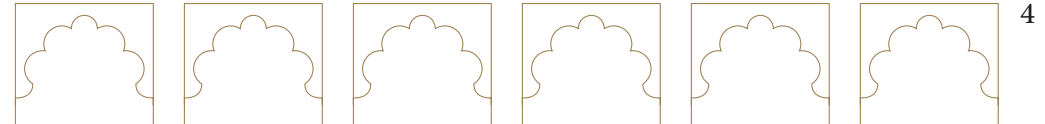
جميع حقوق هذا الإصدار محفوظة لدى مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، ولا يجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل كان (بما في ذلك النسخ المصورة أو استخدام الوسائل الإلكترونية) من دون الموافقة المكتوبة من أصحاب حقوق النشر. وينبغي توجيه الطلبات الخاصة بالحصول على الموافقة المكتوبة لإعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب إلى الناشرين طبقاً لقانون حقوق النشر الدولي لعام 1956 والقانون الاتحادي رقم (7) لعام 2002 الخاص بحقوق النشر للمنشئ الأصلي والمنشئين الثانويين. وكل من يتصرف بما يخالف حقوق النشر المذكورة سيكون عرضة للمسألة القانونية والمطالبة بالأضرار الناجمة عن ذلك.

ISBN 978-9948-774-80-8

رقم طلب إذن الطباعة:

MC-03-01-4089695

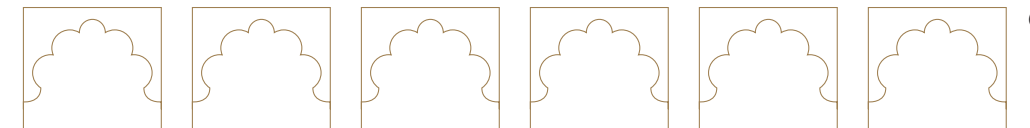
طُبع في دبي - الإمارات العربية المتحدة.



يولي مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث في دبي ، متمثلاً في إدارة البحوث والدراسات اهتماماً بالغاً لنشر المعرفة عبر إصدار ونشر الكتب والمؤلفات الرصينة في مختلف أوجه التراث والتاريخ الإماراتي بشكل خاص، والعربي والإسلامي بشكل عام، ويأتي هذا الاهتمام انطلاقاً من رؤية سمو الشيخ (حمدان بن محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم) ولي عهد (دبي)، التي تؤكد أن التراث مصدر قوة للأمم، وهو يمثل شاهداً على تاريخها، ويبرز عراقه ماضيها وأصالة تاريخها.

وتحقيقاً لهذه الرؤية الحكيمة، فإن مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث يسعى جاهداً إلى طلب المعرفة والمعلومة وتقصيها، والوصول إليها عبر إجراء البحوث التي تستند إلى مناهج علمية معترف بها في مجال تدوين التاريخ وجمع وتوثيق التراث؛ إذ إن تراث (دولة الإمارات العربية المتحدة) الأصيل، الضارب بجذوره في عمق التاريخ والحضارة يزخر بالكثير، سواء على صعيد التراث المادي أو التراث الثقافي غير المادي الذي تُعدُّ الحكايات الشعبية إحدى صوره المتأصلة.

وحرصاً منا على تعزيز تلك الأصالة والعمق الحضاري لهذا التراث، فإنه يسرنا أن نقدم للقارئ الكريم كتاب «الدهريز»، الذي يوثق لنا مواضيع التراث الشعبي المادي وغير المادي في شتى جوانب الحياة الشعبية، التي لها بُعد إنساني لا يُنسى أبداً، حيث إن هذه المواضيع تأخذنا إلى الماضي وكأننا نعيش جوانبه، ونستلهم من خلال سطور تجارب مَنْ سبقونا وعاشوا على هذه الأرض؛ فالكتاب يُطلعنا على تجارب الأولين التي نتعلم منها في مسيرة الحاضر والمستقبل.



الكتاب الذي بين أيدينا يقدم صورة شاملة ومتكاملة عن التراث الشعبي الذي يُعتبر ثروة كبيرة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والمعارف الشعبية والثقافية المادية، والذي نحنُ والأجيال القادمة في أمس الحاجة إليه للتعرف بما سبق من حياة الأمم السابقة؛ لنُكمل بها مسيرة حياتنا ومسيرة مَنْ سبقونا.

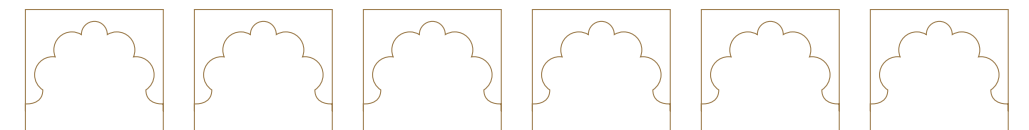
أما الجانب التطبيقي من هذا الكتاب فهو يُعتبر مادة علمية جامعة وواسعة في توثيق وحفظ التاريخ الشعبي الأدبي الذي يُعد ركيزة مهمة للبحوث والدراسات، ومن خلال هذا الكتاب نتطلع إلى أن يكون مرجعاً لجميع الباحثين والجامعين في مجال التراث الثقافي غير المادي، يستطيع الدارس من خلال سطور الاستفادة في تحديد ما يناسبه بإعداد أوراق بحثية مهمة في التراث مُعتمداً على المواضيع التي تناولها هذا الكتاب.

يُعدُّ كتاب "الدهريز" إثراءً مهمّاً للمكتبة الأدبية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث  
إدارة البحوث والدراسات

حينما قرر مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث تخصيص صفحة شهرية بصحيفة (البيان) تحت عنوان (تغريدة)، وتُعنى بشؤون التراث الشعبي وقضاياهم ومفرداتهم، طُلب مني أن أكون من كُتّابها الدائمين، وخُصص لي عمود اقترحْتُ تسميته بـ (الدهريز)، وجرت الموافقةُ عليه من جانب القائمين على الصفحة، حيث إن الكلمة هي مصطلح معماري شائع قديماً، وله مدلول مختلف بين دول الخليج العربية، وهو يعني عندنا "الحُجرة الفاخرة"، ويعني في بعض الدول "الممر المؤدي إلى داخل البيت"، وله مدلول آخر هو "غرفة المعيشة"، وقد خُصص العمود لموضوعات التراث الشعبي دون تحديد الموضوع، ومنذ انطلاقة صفحة (تغريدة) كانت حصيلة المادة المنشورة كمية جيدة من المقالات، بعضها مفرد، وبعضها مُجزأً على حلقات متتابعة، وقد حاولت تقديم باقة من المواضيع التراثية المتنوعة بهدف لفت أنظار الجيل الناشئ في ظلِّ دولة الاتحاد إلى غنى وثراء وأصالة تراثهم الوطني، وإثارة فضولهم المعرفي للتعرف بالمزيد من قضاياهم والاستمتاع بطرائفه ولطائفه.

وقد حازت تلك المواضيع استحسان القراء، حتى إن بعضها تحوّل إلى موضوعات للحوار في برامج ثقافية مُتلفزة؛ ثم ارتأت إدارة البحوث والدراسات بالمركز جمع تلك المقالات وإعادة نشرها مُجمعةً في كتاب يحمل نفس العنوان (الدهريز)؛ لتكون في متناول أيدي الباحثين، وطُلب مني إعادة النظر فيها قبل نشرها، وقد ارتأيتُ إدماج الحلقات المتتابعة لموضوع معين في مقالة متكاملة غير مجزأة، ثم صُنفتُ المقالات تصنيفاً فضفاضاً، بحيث تكون موزعةً على ستة أبواب شملت: موضوعاتٍ خاصةً بعلم الأنساب، قضايا التراث الشعبي والمؤسسات التراثية، مشاريع مقترحة،



الحياة الثقافية في مجتمع الإمارات قديماً وحديثاً، الأدب الشعبي، واللهجة المحلية، فعاليات اجتماعية واقتصادية متنوعة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أُسجل كلمة شكر وإجلال لمؤسس المركز سمو ( الشيخ حمدان بن محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم ) -ولي عهد دبي، رئيس المجلس التنفيذي- على دعمه غير المحدود لكل ما من شأنه تعزيز الهوية الوطنية في أنفس أبناء الوطن، التي يمثل التراثُ دعامةً أساسيةً من دعائمها.

والشكر موصول إلى سعادة عبد الله حمدان بن دلموك -الرئيس التنفيذي لمركز حمدان لإحياء التراث- على مساعيه التي تُذكر فتُشكر في سبيل تحقيق المركز للأهداف التي أنشئ لأجلها، وجهوده الحثيثة في إثراء الحياة الثقافية والتعريف بمفردات التراث الشعبي.

وأقدم بجزيل الشكر إلى إدارة البحوث والدراسات بالمركز على تفضلهم بإعادة نشر مادة عمود ( الدهريز ) في هذا الإصدار، الذي ضمَّ شتاتها لتكون في متناول أيدي الباحثين وعشاق التراث الشعبي.

والله ولي التوفيق  
علي محمد المطروشي

## السيرة الذاتية



### علي محمد علي راشد حميد المطروشي

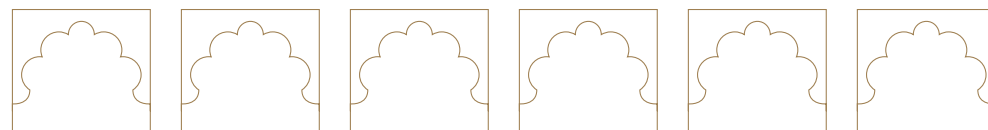
- من مواليد إمارة (عجمان)، عام 1964م.
- تنقل في 3 مدارس من مدارس القرآن القديمة خلال المدة من 1970 - 1974م.
- خريج جامعة (الإمارات) كلية الآداب - قسم التاريخ - 1989م.
- عمل في سلك التعليم معلماً لمادة التاريخ للمرحلة الثانوية العامة 1989 - 1993م.
- تولى إدارة متحف (عجمان) خلال المدة من 1993 - 2010م.
- جرى تعيينه مستشاراً للتراث والتاريخ المحلي بدائرة التنمية السياحية في (عجمان) منذ عام 2010م.
- مؤلف ومحاضر في الأنساب والتاريخ والتراث الشعبي.

### طبع له من المؤلفات:

- المواهب اللطيفة في الأنساب الشريفة، طبع ثلاث طبعات، آخرها عام 2008م.
- عناقيد ثقافية، طبع عام 2008م.
- السنع.. مفخرة السلوك الإماراتي الرفيع. ألفه بتكليف من وزارة الثقافة والشباب وتنمية المعرفة، طبع عام 2013م.
- تاريخ التعليم التقليدي في مدينة عجمان منذ مطلع القرن العشرين حتى أوائل عقد السبعينيات منه، طبع 2013م.
- تاريخ التعليم في الشارقة من 1900 - 1950م، طبع عام 2019م.
- تاريخ المكتبات في الشارقة من 1900 - 1950م، طبع عام 2019م.

# موضوعات خاصة بعلم الأنساب

## الباب الأول



## 1. غريزة البحث عن الجذور والأسلاف

من الظواهر الإنسانية الملحوظة على مرّ الزمن ظاهرة البحث عن الجذور والأسلاف والسلالة التي ينحدر منها المرء، وتسلسل نسبه إلى جدّ قبيلته -الحقيقي أو الأسطوري- سواء عن طريق

أ. البحث في المصادر المكتوبة.

ب. جمع الروايات الشفهية.

ج. الفحص الجيني من خلال الحمض النووي (DNA).

ولو كان باستطاعته الحصول على معلومات دقيقة عن كلّ حلقة من حلقات سلسلة نسبه لما توانى في السعي لتحصيلها، وهذه الظاهرة لها دوافعها الغريزية التي تتطلب الإشباع، ثم إن لها دوافع نفسية واجتماعية ودينية أيضاً.

- وأريد هنا التمييز بين البحث عن النسب الخاص بالشخص وأسرته، وبين نشاط آخر قريب منه، وهو تتبّع درجات القرابة لدى أولي القربى، بهدف توزيع الموارث مثلاً، أو التحري عن أصل شخص تقدم لخطبة إحدى بنات الأسرة، أو تقصّي أصل عائلة قبل الإقدام على مصاهرتها.

## لماذا يريد المرء معرفة جذوره وسلالته؟

### ما الذي سيعود عليه من وراء معرفته بدقائق تفاصيلها؟

يمثل الأسلاف الحلقات المتتابعة التي انتقلنا عبرها منذ نشأة الجنس البشري إلى أن وجدنا ذواتنا في عصرنا الحالي، وفي مجتمعنا المحلي يكتنف الغموض أسماء الأجداد الأبعدين بسبب انقطاع النسب، بحيث يمكننا سرد سلسلة قصيرة لا تتعدى أحياناً أصابع اليد الواحدة، ونادراً ما تزيد على ذلك، وإن معلوماتنا عن آباءنا المباشرين لا تمثل سوى خطوط عريضة من سيرتهم، ومعلوماتنا عن أجدادنا وخاصة الذين لم ندركهم أقل وضوحاً من سيرة الآباء المباشرين، وقد لا نعرف أية معلومات عن سيرة جدّ الأب لأسباب متنوعة، ويُستثنى من ذلك بعض الأعلام البارزين من الأسلاف الذين دُونت سيرهم وتواريخهم، أو تُنقلت شفهيّاً عن طريق الأخباريين، وإن الفضول العلمي يؤدي دوراً كبيراً في دفع الإنسان إلى معرفة سلالته، وتتبع سلسلة نسبه، وتقصّي سير أسلافه، وخاصة أن الظروف الحياتية القديمة تختلف اختلافاً كبيراً عما هي عليه اليوم، من حيث الأدوار والوظائف، ومن حيث حركة السكان وأنشطتهم... إلخ.

وقد تحمل نتائج البحث أحياناً مفاجآت غير سارة للباحث! تبعاً للقيم الاجتماعية السائدة، وخصوصاً بعد ظهور الفحص الجيني لتحديد السلالات القديمة التي انحدر منها سكان الأرض المعاصرون، لكن تظل الرغبة الجامحة في معرفة السلالة دافعاً قوياً للبحث، بغض النظر عن نتيجتها.

إن البحث عن الجذور القبليّة لا يختلف من حيث الدافع عن البحث عن موضعنا المكاني في جغرافية العالم، وموضعنا الزماني في تاريخ العالم، وموضعنا الاجتماعي في السُّلم الطبقي، ودرجتنا في السُّلم الوظيفي... إلخ، فهو بحث عن الذات ومكانها بين الذوات من جميع النواحي، وهو محاولة لفهم جذور العلاقات الاجتماعية التي تربط أسرة المرء بالأسر الأخرى في المجتمع.

وفي المجتمعات التقليدية تكتسب النسبة القبليّة أهميّة اجتماعيّة واضحة، حيث تؤدي دوراً مهماً في تحديد الوضع الاجتماعي للأشخاص، في حين يضعف أثرها في المجتمعات الصناعيّة الحديثة بشكل ملحوظ، إذ يتحدد الوضع الاجتماعي للشخص تبعاً لمنجزاته ومواهبه، ومكانته الاقتصادية، والدور الذي يؤديه في المجتمع.



## 2. أنساب الآباء المؤسسين لدولة الاتحاد المباركة

بمناسبة حلول الذكرى الحادية والخمسين لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة نذكر القُرَّاء بنبذة موجزة عن سلاسل أنساب الآباء المؤسسين لاتحادنا المبارك - رحمهم الله جميعاً وطيب ثراهم.

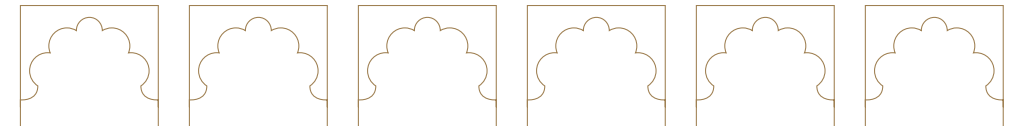
1. أول رئيس للدولة وحاكم إمارة (أبوظبي) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان الفلاحي. والدته: الشيخة سلامة بنت بطي بن خادم بن نهيان القبيسي.<sup>1</sup>

2. نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء حاكم (دبي) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ راشد بن سعيد بن مكتوم بن حشر بن مكتوم بن بطي بن سهيل آل مكتوم . والدته: الشيخة حصّة بنت المر بن حريز بن حنظل بن القعود الفلاسي.

يُنسب آل مكتوم الكرام حُكام دبي إلى جدهم الشيخ مكتوم بن بطي بن سهيل آل مكتوم حاكم دبي ( 1836 - 1852 م )

3. عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (الشارقة) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ خالد بن محمد بن صقر بن خالد بن سلطان بن صقر بن راشد بن مطر القاسمي. والدته: الشيخة مريم بنت غانم بن سالم بن عبد الله بن سعيد بن سبت بن مطر الشامسي.

1. الشيخ محمد بن زايد بن سلطان آل نهيان الرئيس الثالث لدولة الإمارات العربية المتحدة منذ قيام الاتحاد عام 1971م، وبصفته ولي عهد إمارة أبوظبي فقد تولى حكم الإمارة مباشرة بعد الإعلان عن وفاة أخيه الشيخ خليفة بن زايد بن سلطان آل نهيان.



4. عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (عجمان) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ راشد بن حميد بن عبد العزيز بن حميد بن راشد بن حميد بن سلطان آل بو خريبان النعيمي.

والدته: الشيخة شيخة بنت سعيد بن ماجد بن علي بن راشد بن حميد بن سلطان آل بو خريبان النعيمي.

5. عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (أم القيوين) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ أحمد بن راشد بن أحمد بن عبد الله بن راشد بن ماجد المعلا. والدته: الشيخة آمنه بنت حسين.

6. عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (رأس الخيمة) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ صقر بن محمد بن سالم بن سلطان بن صقر بن راشد بن مطر القاسمي.

والدته: الشيخة حصّة بنت صقر بن خالد بن سلطان بن صقر بن راشد بن مطر القاسمي.

7. عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (الفجيرة) : المغفور له (بإذن الله) الشيخ محمد بن حمد بن عبد الله بن خميس بن محمد بن مطر الشرقي . والدته: الشيخة موزة بنت خلفان بن مترف الطنيجي.

### 3. أنساب حُكام الإمارات المعاصرين

كما ونذكر القُرَّاء بسلسلة أنساب حكام الإمارات السبع، حفظهم الله ورعاهم، مع ذكر خؤولتهم أيضاً.

1. **رئيس الدولة وحاكم إمارة (أبوظبي) :** صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن نهيان الفلاحي الياسي.

والدته: الشيخة فاطمة بنت مبارك بن غانم بن ضاحي المصيصري الكتبي (أم الإمارات).  
2. **نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم (دبي) :** صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد بن مكتوم بن حشر بن مكتوم بن بطي آل مكتوم الفلاسي الياسي.

والدته: الشيخة لطيفة بنت حمدان بن زايد الأول آل نهيان.  
3. **عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (الشارقة) :** صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد بن صقر بن خالد بن سلطان بن صقر بن راشد بن مطر القاسمي.

والدته: الشيخة مريم بنت غانم بن سالم بن عبد الله بن سعيد بن سبت بن مطر الشامسي.

4. **عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (عجمان) :** صاحب السمو الشيخ حميد بن راشد بن حميد بن عبد العزيز بن حميد بن راشد بن حميد بن سلطان بن راشد آل بوخريبان النعيمي.

والدته: الشيخة عائشة بنت عبد الله بن علي بن عبد الله بن هويدن الكتبي.

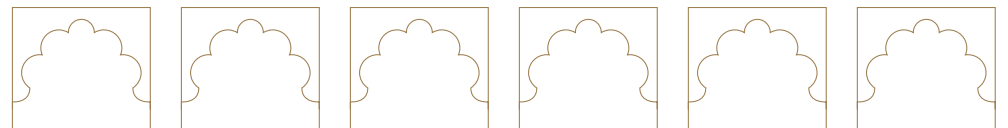
5. **عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (أم القيوين) :** صاحب السمو الشيخ سعود بن راشد بن أحمد بن راشد بن أحمد بن عبد الله بن راشد بن ماجد المعلا.

والدته: الشيخة حصة بنت حميد بن عبد الرحمن بن سيف الدرويشي الشامسي.  
6. **عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (رأس الخيمة) :** صاحب السمو الشيخ سعود بن صقر بن محمد بن سالم بن سلطان بن صقر بن راشد بن مطر القاسمي.

والدته: الشيخة مهرة بنت أحمد بن ماجد بن غرير بن عبد الله السويدي.  
7. **عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة (الفجيرة) :** الشيخ حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن سيف بن حمد بن عبد الله بن خميس بن محمد بن مطر الشرقي.  
والدته: الشيخة فاطمة بنت راشد بن حميد بن عبد العزيز بن حميد النعيمي.

# قضايا التُّراث الشعبي والمؤسسات التراثية

## الباب الثاني



## 1. التراث الشعبي والتغير الاجتماعي

يعبر مفهوم ( التراث الشعبي ) ببساطة عن كل ما ورثناه عن أسلافنا أبناء (الإمارات) من ثقافة بمعناها الشامل لكل أوجه النشاط الإنساني، وينقسم إلى قسمين:

أ. تراث مادي (أطعمة، أزياء، مباني، صناعات، أدوات وأساليب الإنتاج،... إلخ)، مرتبطة بطريقة استخدامها المميزة.

ب. تراث غير مادي (معتقدات، معارف، آداب، عادات وتقاليد، اتجاهات، مزاج عام، نُظم... إلخ).

ويرتبط مفهوم ( التراث الشعبي ) في الأذهان دومًا بنمط الحياة التقليدية التي كانت سائدة في مجتمع ( الإمارات ) خلال الحقبة التي سبقت ظهور النفط، أي في مرحلة اقتصاد الغوص على اللؤلؤ، التي اتسمت بالبساطة في النظم، وتدني مستوى المعيشة، وصعوبة الحياة لدى قطاع كبير من السكان... إلخ، ولأن سمة (التغير) هي سمة أساسية من سمات الحياة، سواءً في جانبها الطبيعي أو البشري، فالأجيال المتتابعة على هذه الأرض قد تعرضت حياتها عبر القرون الماضية لحوادث طبيعية وبشرية، ومؤثرات حضارية متنوعة متتابعة، أفرزت نتائج بعضها إيجابية وبعضها سلبية، أسهمت بدرجات متفاوتة في تحريك عوامل التغير الاجتماعي، وهذا ما ترك آثارًا مباشرة أو غير مباشرة على مجمل حياة الناس، وأحدث تعديلًا وتحولًا ملموسًا في الأنماط المعيشية التقليدية السائدة بالدرجة الأولى، وفي الجوانب المعنوية غير المادية بالدرجة الثانية، ذلك أن الجانب المادي من الثقافة أسرع تغيرًا من الجانب غير المادي الذي هو أكثر مساسًا ببناء الشخصية، حيث يجري غرس عناصره في كيان المرء منذ طفولته من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية، فيتشربها

ويتبناه وتتقوّلب حياته فيه، وهذا ما يجعل تعديل اتجاهاته ومنظومة قيمه أمرًا عسيرًا، بخلاف الوسائل المادية الحياتية التي يسعى البشر دومًا إلى تطويرها والبحث عما يحقق لهم الاقتصاد في الوقت، وجودة الإنتاج، وشروط الأمان، والتوافق مع البيئة... إلخ.

ومن السهولة بمكان تلمّس مظاهر التغير الذي طرأ على مجتمعنا المحلي خلال القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين؛ لأنه حظي بتوثيق جيد من جانب الباحثين والرحالة، وكُتبت حوله التقارير المختلفة من قبل السلطات البريطانية والحكومات المحلية، ثم إن الجيل القديم من الآباء والأجداد الذين ما زالوا على قيد الحياة بإمكانهم أن يسردوا على مسامعنا دومًا ملامح كثيرة من التطورات التي عايشوها في سني حياتهم.

لعلّ من أهم المنعطفات التاريخية التي كان لها تأثير ملموس في مجريات الحياة في مجتمع ( الإمارات ) خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

1. الصراع العسكري المبرر مع القوى الاستعمارية الأوروبية، ممثلة في الإنجليز مطلع القرن التاسع عشر، الذي انتهى بتوقيع اتفاقية السلام العامة في يناير 1820م؛ لتبدأ حقبة استعمارية استمرت 151 عامًا، وانتهت ليلة إعلان قيام الاتحاد.

2. ظهور اللؤلؤ الصناعي أو المزروع خلال منتصف عشرينيات القرن العشرين، الذي كان له أثر مدمر في اقتصاد منطقة الخليج كلها، حيث أدى إلى كساد اللؤلؤ الطبيعي وتذبذب أسعاره، وهذا ما نتج عنه اضمحلال حرفة الغوص تدريجياً حتى اختفائها مطلع عقد الخمسينيات.

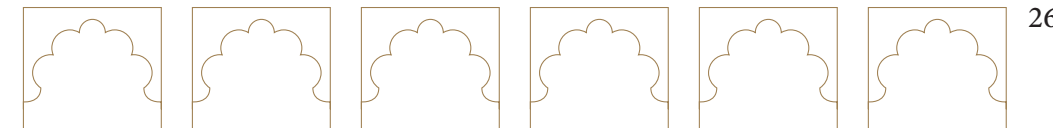
3. ظهور البترول في عدد من الأقطار الخليجية منذ عقد الثلاثينيات، وخاصة البحرين والسعودية ثم الكويت، وقيام حركة تنمية واسعة النطاق فيها، وهذا ما فتح الباب أمام أغلب القوى العاملة في (الإمارات) لكي تهاجر إلى هناك بحثاً عن فرص عمل بديلة عن مهنة الغوص، وتكتسب الخبرة من انخراطها في شركات البترول والمقاولات وورش الصناعة خلال عقد الخمسينيات بالذات.

4. سعي الحكومات المحلية في عقد الخمسينيات بخطى متفاوتة السرعة للأخذ بالأنظمة الحديثة في الحكم والإدارة، وقُدِّر لإمارة (دبي) أن تقود قطار التطور في ساحل (الإمارات) منذ أواخر عقد الأربعينيات؛ نتيجة لطموح حكامها ونظرتهم الثاقبة إلى مستقبل المنطقة، والعمل على الاستثمار الأمثل للموارد الاقتصادية والبشرية المتاحة آنذاك.

5. ظهور النفط وتصديره بدءاً من عام 1962م في إمارة (أبوظبي)، وعام 1966م في (دبي)، حيث أصبح أهم مصادر الثروة، وسُخِّرَت عائداته الكبيرة في حركة تنمية شاملة.

6. قيام دولة (الإمارات العربية المتحدة) واستقلالها عن بريطانيا وتحولها إلى كيان سياسي حديث وناهض، نال اعتراف دول العالم ومنظّماته الدولية.

ومما لا شك فيه أن كل هذه المنعطفات التاريخية قد تركت آثارها على حياة شعب (الإمارات) في جوانبها المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية... إلخ، وهذا ما يحتم السعي لاستحداث وسائل جديدة تساعد على التكيف والتوافق مع تلك المستجدات والنتائج الناجمة عنها من خلال تعديل أنماط السلوك.



انعكست التغيرات الاجتماعية الناتجة عن تلك الوقائع والظروف التي ذكرتها آنفاً على الموروث الشعبي المميز للإمارات وأسلوب ممارسته في الواقع المعيش؛ لكونه يمثل ثقافة الشعب، والثقافة بطبيعتها متغيرة ولديها خاصية التكيف مع الظروف الطبيعية والاجتماعية الحالية والمستقبلية، وسأتناول في هذه العجالة مظاهر مختارة معبّرة عن تأثير هذا الموروث بالتغير الاجتماعي الذي عاشته (الإمارات) طوال العقود الستة المنصرمة نظراً إلى صعوبة الإحاطة بجميع مظاهر هذا التأثير.

1. اختفاء بعض النظم الاجتماعية التي سادت في المجتمع التقليدي قديماً، ومن أبرزها:

أ. نظام القضاء العرفي القبلي كنظام قانوني، وقد حلَّ محله القضاء الحديث بشقيه الشرعي والقانوني، وبمؤسساته الحكومية الحديثة.

ب. حرفة الغوص على اللؤلؤ كنظام اقتصادي، وحلَّ محلها استخراج النفط الذي أصبح المصدر الرئيسي للثروة الاقتصادية حتى العقد الأول بعد قيام الاتحاد.

ج. نظام الكتاتيب والتعليم شبه النظامي كنظام تربوي تعليمي، وحلَّ محله نظام تعليمي حديث يسعى إلى تلبية متطلبات التنمية وبناء الإنسان المعاصر وفق أرقى المعايير العالمية.

وترتب على اختفاء تلك النظم التقليدية الاستغناء عن شطر ليس بالهين من قاموسنا اللغوي يتعلق بالمفردات والمصطلحات الخاصة بها.

2- دخول تطورات جذرية على كثير من العادات نتيجة لعملية تشذيب مستمرة، إضافة إلى مؤثرات ثقافية وافدة، ولعلَّ أوضحها ما يتعلق بالمأكل والمشرب، فقد كانت السُفرة الإماراتية في الماضي محدودة الأصناف، وتضم أصنافاً ذات أصول محلية وفارسية وهندية، ثم انضمت إليها ابتداءً من عقد الخمسينيات أصناف شامية ومصرية جاءت مع أبناء فلسطين ومصر، الذين كانوا طلائع

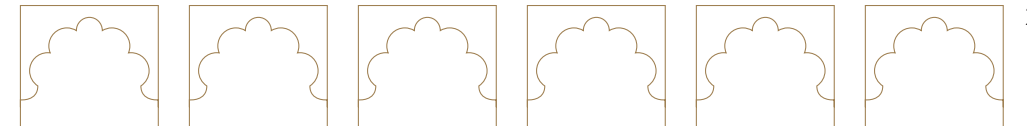
البعثات التعليمية والصحية، ومع ارتفاع مستوى المعيشة والانفتاح على دول العالم أصبحت المائدة الإماراتية تزخر بأنصاف لا تحصى من الأطباق العالمية، واعتاد الكثير من المواطنين إتيكيت المائدة الحديثة مع التمسك بالآداب الموروثة، التي تمثل لب التراث الشعبي في هذا الجانب.

3. صمود التقاليد عبر الزمن أكثر من العادات باعتبارها تمثل القواعد السلوكية الاجتماعية التي ارتضاها المجتمع، ومن أهم عوامل صمودها: أن كثيراً منها نابع من تعاليم الإسلام، فاكسبت سنداً شرعياً ساعد على بقائها، ورغم أنها لبست ثوباً جديداً؛ لم يغير هذا الثوب من حقيقة جوهرها، ومن أمثلتها: عقد القران لكي يصبح الزواج شرعياً، وإقامة وليمة الزواج مهما كانت بسيطة، والأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى، وذبح العقيقة عنه، والختان، ونظام صبّ القهوة للضيوف.

4. حدوث تحولات لغوية كبيرة في اللهجة المحلية، وهي مرشحة للابتعاد تدريجياً عن اللهجة القديمة بحكم القوانين التي تحكم تطور اللغات عموماً، وتعرضها لتأثيرات لغوية عربية وأجنبية، سيرد ذكرها لاحقاً في موضوع ( تحولات اللهجة المحلية في الإمارات - الباب الخامس ).

5. إعادة النظر في المعارف الشعبية الموروثة، ونعني بها المعلومات المتراكمة في أذهان الناس عن أنفسهم، وعن بيئتهم، وعن علاقاتهم الاجتماعية، التي تمثل إطاراً مرجعياً لكافة مظاهر سلوكهم.

وقد أدّى تغير أسلوب التفكير نتيجة التعليم الحديث والانفتاح على ثقافات العالم والنظر إلى الظواهر الطبيعية نظرة علمية موضوعية إلى إعادة النظر في كثير منها، ومنها مجال الطب الشعبي، والتصورات الخاصة بالطبيعة والكون والمواسم وغيرها.



6. انحسار كثير من المعتقدات القديمة، ونعني بها مجموع التصورات التي كانت تؤمن بها الأجيال السابقة فيما يتعلق بالعالم الخارجي أو عالم الغيب.

فالعناصر القائمة على الخرافة والوهم، التي تتعارض مع مقررات العقيدة الإسلامية ومع العلم الحديث أصبحت مجرد تراث إنثروبولوجي يمثل ثقافة جيل انقضى، وتتطلب دراسة مقوماتها ومصادرها وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على المؤمنين بها، وقد ظهرت مؤخراً دراسات تتعلق بموضوع «الخراريف» في الأدب الشعبي الإماراتي.

7. ظهور أجيال من الباحثين في مجال التراث الشعبي، أسهموا في المحافظة على الموروث الشعبي من خلال الجمع الميداني للموروث الشفاهي، سواء بصفة فردية أو عبر مؤسسات ثقافية تُعنى بالتراث، ودراساتهم للفنون الشعبية والشعر النبطي والأمثال الشعبية والحكايات وحول العادات والتقاليد والصناعات التقليدية. إلخ.

8. ظهور مؤسسات متخصصة تأخذ على عاتقها مهمة إحياء التراث الشعبي والمحافظة عليه من الاندثار، وتعريف الجيل الجديد، بل العالم كله بهذا الإرث الحضاري العريق، ولعل من أبرز المؤسسات المعاصرة القائمة بهذه المهمة الوطنية النبيلة : وزارة الثقافة وتنمية المعرفة، وهيئة أبوظبي للسياحة والتراث، ومركز حمدان بن محمد لإحياء التراث في إمارة (دبي)، ومعهد الشارقة للتراث، ومتاحف التراث الشعبي الحكومية منها والخاصة، وجمعيات الفنون الشعبية ، وهيئة الشارقة للوثائق والأرشيف وفي كل مؤسسة أيضاً تُعنى بالتراث في إمارات الدولة كافة .

9. اتساع معرفة العالم بالفلكلور الشعبي الإماراتي وتذوقه من خلال عرضه عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والمناسبات الوطنية المختلفة، ومن خلال المشاركة في المعارض والمهرجانات العالمية، نحو: (معرض إكسبو، ومهرجان قرطاج، ومهرجان أصيلة... إلخ).



## 2. تأهيل العاملين في مجال التراث الشعبي

يُعد التراث الشعبي أحد مقومات الهوية الإماراتية التي يعتبر الحفاظ عليها والاعتزاز بها واجباً وطنياً، وقد أولت الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية منذ قيام الدولة (1971م) اهتماماً بارزاً لحماية التراث الشعبي وصونه من الضياع والاندثار في غمار حركة التحديث والتطوير التي تشهدها البلاد للحاق بركب الأمم المتقدمة، بعد عقود من الهيمنة البريطانية والتأخر الحضاري استمرت 151 عاماً (1820-1971م).

والتراث الشعبي، بشقيه المادي وغير المادي هو في نهاية الأمر (ثقافة) قابلة للانتشار والانحسار تبعاً للظروف الاجتماعية التي توجد فيها، وقد كان التراث الشعبي عند قيام الاتحاد أكثر حضوراً كواقع معيش، منه اليوم بعد مُضي نصف قرن على نشأة الاتحاد، حيث كان الكثير من مواطني (الإمارات) الذين عاشوا حياة ما قبل النفط لا يزالون على قيد الحياة، وهم في الحقيقة حملة التراث الشعبي ورواؤه لكونهم متمرسين بأساليب الحياة التقليدية القديمة، وكانت معالم المجتمع القديم لا تزال ماثلة في أذهانهم، وكان بإمكان الباحث أن يجد -بسهولة- ما يحتاج إليه من المصادر الشفاهية التي تُحدثه بمصاديقية عن مختلف شؤون الحياة قديماً، وتشكل مرويَّاتها مادةً غزيرة للدراسة والتحليل، لكن ذلك الجيل القديم ما لبث أن تناقص أفرادُه بأطراد عبر العقود التالية، وأصبح الفاصل الزمني كبيراً بين حاضرنَا وبين نهاية عهد اقتصاد الغوص على اللؤلؤ آخر عقد الأربعينيات من القرن المنصرم (لا يقل عن 70 عاماً)، وخلال فترة تشييد صرح الاتحاد لم تكن هناك مؤسسات علمية مختصة بإعداد كوادر تضطلع بمهام جمع التراث الشعبي وتوثيقه ودراسته والحفاظ عليه والتعريف به محلياً وعالمياً، وإنما اضطلعت (وزارة

الإعلام والثقافة) الناشئة وكذلك التلفزيونات المحلية بتوثيق مختارات من التراث الشعبي؛ لتُبث كبرامج مُتلفزة أو إذاعية، وكان من بينها مجالس الشعراء في كل من (أبوظبي ودبي)، ولوحات الفنون الشعبية المختلفة (العيالة، المالد، الآهال، الرزيق، الهبان، الليوه... إلخ)، إضافة إلى الرياضات الشعبية (مسابقات التجديف، سباق الهجن، الصيد بالصقور... إلخ)، وعرض مسلسلات تعتمد اللهجة المحلية في الحوار، وطبع دواوين لشعراء متعددين، وكان للمتاحف التي أُسست مبكراً في كل من (دبي وأبوظبي ورأس الخيمة) دور كبير في المحافظة على التراث الشعبي المادي إلى جانب الآثار المكتشفة في تلك الإمارات، ولا يمكن إغفال دور جمعيات الفنون الشعبية التي تحيي بعروضها الأفراح والمناسبات الوطنية، والتي جرى وضعها تحت مظلة وزارة الشؤون الاجتماعية، ولها مُخصصات سنوية لمساعدتها على أداء دورها في المجتمع.

وبمرور السنين ظهرت الحاجة إلى تأسيس معاهد مختصة تُعنى بإعداد كوادر مواطنة، تتسلم مهمة الحفاظ على تراثنا الشعبي مُزوَّدة بالعلم والمعرفة، ومدرّبة على أداء الدور المنوط بها في المجتمع، وقد اتسعت شريحة العاملين في مجال التراث الشعبي وتنوعت فئاتهم، فمنهم مَن يعمل ضمن مؤسسات اتحادية (وزارة الثقافة والشباب)، أو محلية (أبرزها: نادي تراث الإمارات في أبوظبي، ومركز حمدان بن محمد لإحياء التراث في دبي، ومعهد الشارقة للتراث، والمتاحف المحلية في كل إمارة)، وهناك مَن يعمل بصفة شخصية من خلال النشر الورقي أو الإلكتروني عبر حساباتهم على الإنستغرام أو تويتر.

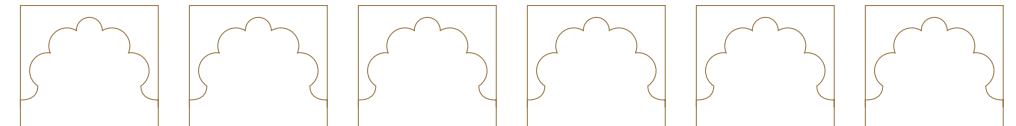
## ينبغي أن نفرق بين فئتين من التراثيين:

**الأولى:** فئة الرواة كبار السن من الجنسين، ومعهم كل مَنْ اُختَصَّ بحرفة تقليدية أصيلة في مجتمع الإمارات (غواص لؤلؤ، صياد، جلاف، جمّال، مُزارع، خياط، طبيب شعبي، مطارزي، معلم كتّاب... إلخ)، إلى جانب فرق الفنون الشعبية في مختلف البيئات (البحرية، والبدوية، والجبلية، والواحات)، وغالبية هذه الفئة هم ممن اقتصر تعليمه على تعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، وأتيح لبعضهم الانخراط في فصول محو الأمية خلال عقد السبعينيات.

**الثانية:** فئة العاملون في مجال التراث الشعبي: جمعه وتوثيقه ودراسته وصونه والترويج له محلياً وعالمياً، وهؤلاء هم الذين أشرتُ إليهم آنفاً، وهذه الفئة غالباً هم خريجو جامعات من مختلف المستويات العلمية، ولا تقل مؤهلات بعضهم عن شهادة الثانوية العامة على أقل تقدير، إن الحاجة إلى تأهيل هذه الفئة الثانية أصبحت اليوم ماسةً، فالعمل في هذا المجال لم يعد أمراً اعتباطياً.

## بل إن إعداد العاملين الأكفاء في هذا المجال يستلزم ما يلي:

1. وجود الاستعداد أو القابلية : بمعنى القدرة على استيعاب وفهم الثقافة التراثية نظرياً، ومهارات العمل في هذا الميدان تطبيقياً.
2. وجود الميل أي : عشق التراث الشعبي عمومًا، وجانب معين من جوانبه بصفة خاصة.
3. التحصيل المعرفي من مختلف مصادره؛ لإغناء مخزونه من المعلومات التي تمثل مفردات التراث.



4. التدريب العملي على الجمع الميداني وفن إجراء المقابلات، ثم تفريغ المعلومات تمهيداً لتخزينها وإتاحتها للدارسين.

5. الانخراط في دراسات جامعية ودورات علمية تتعلق بمختلف جوانب التراث الشعبي، وهذه المهمة أضحت منوطة بمعاهد التراث الشعبي المختصة بالشأن التراثي.

6. إشراكهم في الأنشطة المختلفة التي تنظمها الجهات المسؤولة عن التراث (اتحادية أو محلية) داخل الدولة أو خارجها؛ لكي تتوفر لهم المعاشة الثقافية وتُثرى خبراتهم.

هناك جانب مهم جداً يتعلق بثقافة المختصين في التراث الشعبي، وهي ثقافة واسعة النطاق متعددة الأوجه نظراً إلى شمول التراث لكل جوانب الحياة في الماضي.

ومن هنا يلزم هؤلاء المختصين الباحثين في التراث الشعبي أن يكونوا ملمين إلماماً جيداً بالعديد من الموضوعات التي تدخل ضمن العلوم الإنسانية، ومن أهمها

**أ. الجغرافيا العامة:** وبالأخص جغرافية حوض الخليج العربي؛ لأنها دراسة للبيئة الطبيعية التي احتضنت هذا التراث وتفاعل معها أبناء المنطقة، وتركت بصمتها الغائرة في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، وعلاقاتهم بالشعوب المحيطة بها والبعيدة عنهم.

**ب. تاريخ الإمارات الحديث والمعاصر، وتاريخ الخليج العربي الحديث**

**والمعاصر:** نظراً إلى الحاجة إلى وضع عناصر التراث في إطارها التاريخي، ولا شك في أن أحداث التاريخ المحلي والإقليمي تفسر لنا كثيراً من النقاط المتعلقة بالنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي سادت في الإمارات وبقية أقطار الخليج العربية التي تربطنا بها روابط وثيقة جداً.

ج. الأدب الشعبي بمختلف فروعهِ ( اللهجة المحلية، الشعر النبطي،

الأمثال، الألفاظ، القصص والخرافيف... إلخ ) : فهي تُعد مؤشرًا على

الذائقة الشعبية، وسجلًا للقيم والعادات والتقاليد والأعراف والتوجهات النفسية

الاجتماعية لدى الشعب الإماراتي قديمًا .

د. الفنون الشعبية (الأغاني، والموسيقى، والرقص) : ومدى تأثرها بفنون

الشعوب الأخرى التي كانت لها مع أبناء (الإمارات) علاقات اقتصادية واجتماعية

وثقافية .

هـ. خطوط عريضة من الثقافة الدينية : نظرًا إلى الدور الكبير الذي كان

يؤديه الدين في سلوك الأفراد، وانبثاق الكثير من العادات والتقاليد من تعاليمه

السمحة .

و. علم الاجتماع العام : لكونه يُعنى بدراسة المجتمعات البشرية وتفاعلاتها،

ومن ثم يساعد على تعميق فهم الباحث للحياة الاجتماعية وتحليله للعلاقات

الاجتماعية في مجتمع (الإمارات) قديمًا، والثقافات والمؤسسات التي شكلت حياة

الإنسان الإماراتي وتاريخه .

ز. الإنثروبولوجيا : وهي عظمة الأهمية للباحثين في أصول النظم الاجتماعية

وجذورها وتطورها إلى الأشكال الحالية .

وإذا كانت المعاهد والمؤسسات المعنية بالشأن التراثي تعطي الدارسين والمنتسبين

إلى دوراتها العلمية خطوطًا عريضة من تلك المواضيع؛ فإن المهمة الكبرى تقع

على عواتق الدارسين أنفسهم؛ للاهتمام بتثقيف أنفسهم والنهل من مصادر العلم

والمعرفة الوفيرة .

يمثل التاريخ العام سجلاً حافلاً بمجريات أحداث الماضي البعيد والقريب، وكل يوم يمضي تصبح حوادثه في الغد جزءاً من التاريخ، وهذا السجل التليد هو حقل تجارب البشرية الخصب، يستلهم منه قادة الأمم ومفكروها وحكماؤها ما يهديهم إلى النهج السديد في عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية وكافة شؤون الحياة المتجددة، فهو معين لا ينضب، ومنجم لا يفنى من الخبرات المتراكمة، ييؤء من يتجاهلها أو يستغني عنها بالخسران المبين، فيكرر أخطاء الماضي دون وعي أو بصيرة.

وإذا كانت المدونات التاريخية والوثائق الوفيرة والآثار المادية تمثل مصادر رئيسية للمعلومات عن مسيرة البشرية وحضاراتها المتعاقبة؛ فإن التاريخ الشفاهي يعتبر هو أيضاً مصدراً لا يقل عنها أهمية في رفد الباحثين بكنوز من المعلومات في الشؤون العامة لا يجدونها في المصادر المكتوبة، وخصوصاً في بلاد حديثة النهوض كدولة (الإمارات العربية المتحدة)، إضافة إلى السجلات البريطانية الغنية بالمعلومات المفصلة، التي تعبّر عن وجهة نظر (بريطانيا) التي فرضت هيمنتها الاستعمارية على حوض الخليج العربي عامة و(الإمارات) خاصة خلال الحقبة (1820 - 1971م)، هناك المصادر التاريخية المدونة بأيدي أبنائها خلال مرحلة ما قبل الاتحاد، وهي قليلة العدد، وبسيطة في منهجها وأسلوبها، ولعل أهمها مؤلفات كل من:

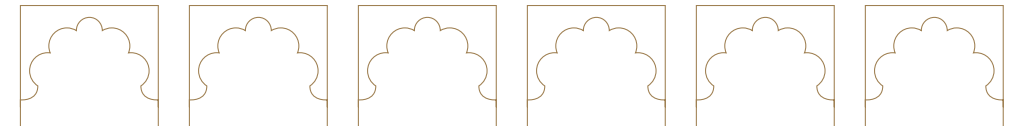
أ. لكاتب (يوسف بن محمد الشريف)، (ت نحو عام 1917م).

ب. الشيخ (محمد بن سعيد بن غباش المري)، (ت 1969م).

وكلاهما من إمارة (رأس الخيمة).

ج. الشيخ (عبد الله بن صالح المطوع)، من إمارة (الشارقة)، (ت 1958م).

د. الكاتب (حميد بن سلطان الشامسي)، من إمارة (أم القيوين)، (ت 1980م).



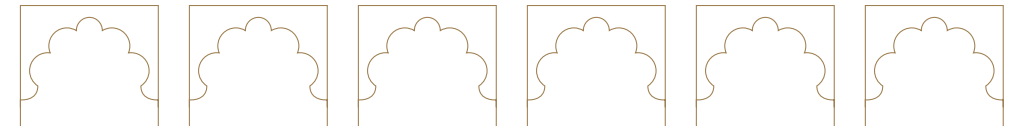
وقد استحوذت الأحداث السياسية على اهتمام هؤلاء المؤلفين، وقليلاً ما وثّقوا أحداثاً تتناول جوانب الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية، ولعل أكثرهم اهتماماً بمثل هذه الجوانب المرحوم (حميد بن سلطان الشامسي) في كتابه (نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار)، الذي حققه الدكتور (فالح حنظل)، ونُشر عام 1986م، ولكن ذاكرة كبار السن المخضرمين تمثل خزاناً غنياً بالمعلومات المتعلقة بمختلف جوانب الحياة قبل الاتحاد ينتظر من يغرف منه، ومن هنا تتعاضد أهمية توثيق التاريخ الشفاهي وتحويله من مجرد ذكريات في أذهان الرواة إلى مواد محفوظة متاحة للقراء والباحثين، لا تفنى بموت رواتها الأصليين أو ضعف ذاكرتهم. بدأت عملية جمع المرويّات التاريخية في الإمارات منذ وقت مبكر نسبياً، فلقد ذكر المؤرخ (عبد الله بن صالح المطوع) أن المرحوم (محمد بن عبد الله بن حسن المدفع) المتوفى سنة 1341هـ / 1922م كان (أول من فكّر في جمع تاريخ لساحل عُمان ووقائع، وسافر من أجل ذلك، واستدعى ذوي الخبرة لأخذ معلوماتهم، وأنفق في ذلك من ماله الخاص)، ويشير (المطوع) إلى أنه شخصياً استفاد من مسودات (محمد المدفع) في تأليف كتبه التاريخية، فيقول: (وإليه يرجع الفضل فيما جمعه من التاريخ والوقائع). ودون الشيخ (عبد الرحمن بن محمد الدرويشي الشامسي)، (ت 1942م) روايات تتعلق بتاريخ أسرته التي كانت تحكم بلدتي (الحميرية والحيرة) التابعتين (للشارقة)، وكذلك المرحوم (درويش بن أحمد بن درويش) الذي كان مديراً لبلدية (الشارقة) في عقد الستينيات، وقد دون تاريخ وأنساب أسرته (آل درويش)، ولا يمكن إغفال جهود الشيخ (محمد بن سعيد بن غباش) في تتبع الأخبار والأنساب وتدوينها، وله مخطوطة تاريخية تحت عنوان: (ما جمعه في الأربعين عاماً)، لم

تُشَر بعدُ، وقام الدكتور (فالح حنظل) بتحقيق ونشر مدونة صغيرة (لابن غباش) وضع لها عنواناً اجتهادياً: (الفوائد في تاريخ الإمارات والأوابد).

وقد وَجَدَت بعض تلك المدونات التاريخية سبيلها إلى النشر، في حين بقي بعضها متداولاً بطريقة النسخ، أو محفوظاً لدى أَسَر المؤلفين ضناً بها أو تفادياً لنشر محتواها الذي قد يكون بالغ الحساسية أحياناً.

وبعد قيام (دولة الإمارات العربية المتحدة) بخمس سنوات جرى إنشاء اللجنة العليا للتراث والتاريخ بأمر من الشيخ (زايد بن سلطان آل نهيان)، طيَّب الله ثراه، وأُنيط بها جمع كل ما يتعلق بتاريخ (الإمارات) صوناً له من الضياع والتبعثر، ونشر ما هو قابل للنشر منه، وكان من أبرز الشخصيات التي ضممتها اللجنة: الشاعر الأديب (أحمد بن سلطان بن سليم)، والشاعر (حمد بن خليفة بو شهاب)، والأستاذ (عمران بن سالم العويس)، ورجل الأعمال (راشد بن أحمد لوتاه)، ثم الشيخ (محمد بن أحمد الخزرجي)، وقد جرى إجراء مقابلات لعشرات من الرواة خلال النصف الثاني من عقد السبعينيات، وبقيت التسجيلات الخاصة بتلك المقابلات محفوظة لدى اللجنة حتى جرى حلُّها أواخر عقد التسعينيات، وأُنيطت مهامها بمركز زايد للتراث والتاريخ، وآلت إليه محفوظاتها بما فيها تلك الذخيرة الثمينة من المقابلات، لكن مما يؤسف له أن غالبيتها لم يجد سبيله إلى التفريغ، وهي عملية تحتاج إلى أشخاص مؤهلين من حيث الثقافة اللغوية والتراثية للقيام بهذه المهمة، وقد علمت مؤخراً أن تلك المقتنيات محفوظة حالياً في أرشيف نادي تراث الإمارات في (أبوظبي)، ضمن جهود الجهات الرسمية لجمع التاريخ والتراث الشفاهي.

شكلت وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع (وزارة الثقافة والشباب حالياً) لجنة لهذا الغرض منذ منتصف العقد الماضي، ضُمَّت باحثين من مختلف (الإمارات) وكنت عضواً فيها، وكانت الحصيلة عشرات المقابلات، لكنها لا تزال حبيسة الأوعية



التي حُزنت فيها، ونأمل أن يأتي اليوم الذي تجد فيه سبيلها إلى النشر لتعميم الاستفادة منها، وبالتوازي مع جهود الوزارة كانت هناك مؤسسة رسمية كبيرة تقوم بدورها في توثيق التاريخ الشفاهي، هي (المركز الوطني للوثائق والبحوث) بوزارة شؤون الرئاسة ومقرها العاصمة (أبوظبي)، وقد أجزت ما لا يقل عن 500 مقابلة مع الرواة، نُشر بعضها في مجلة ليوا، وبعد إنشاء (مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث) بإمارة (دبي) في إبريل عام 2013م أخذ المركز على عاتقه حفظ وتوثيق التراث الوطني، ورفعته بالدراسات والأبحاث العلمية، وتوفير المصادر والمراجع التراثية؛ باعتبار ذلك أحد ثلاثة أهداف استراتيجية أُسس المركز لتحقيقها، ومنذ ذلك الحين تبنى المركز جمع الروايات الشفاهية المتعلقة بتاريخ وتراث دولتنا الحبيبة؛ بواسطة جامعين مدربين، وبمُخصَّصات سَخِيَّة، سعياً منه إلى تدارك ما تختزنه ذاكرة الرواة المسنين من مواطني الدولة، وهم شهود عيان على ما شهده مجتمع (الإمارات) من تغير اجتماعي سريع خلال العقود الخمسة الأخيرة من القرن العشرين المنصرم.

أما عن الجهود الفردية في مجال جمع وتوثيق تاريخنا الشفاهي فإننا ندين بالفضل للباحث والصحفي المعروف الأستاذ (عبد الله عبد الرحمن رحمة)؛ لما قام به في أواسط عقد الثمانينيات من إجراء لمقابلات صحفية وتفرغها ونشرها، وقد شملت عشرات المواطنين المسنين، من مختلف البيئات الطبيعية البحرية، والصحراوية، والجبليّة، والواحات، وتضمنتها ثلاثة مجلدات طُبعت مرتين، وتمثل تلك المقابلات ذخيرةً ثمينة للباحثين تزداد قيمتها باطراد كلما مرَّت السنون، فلقد انتقل أولئك الرواة إلى جوار ربهم، ويندر أن نجد واحداً منهم اليوم على قيد الحياة.

أيضاً لا يمكن إغفال دور المرحوم الباحث (عمار السنجري) (ت 2015م) في توثيق الكثير من مرويّات البدو وخصوصاً في المنطقة الغربية، وإلقاء الضوء عليها من ناحية إنثروبولوجية.

ومما لا شك فيه أن عدد هؤلاء الرواة في تناقص مطرد، وأن مهمة التوثيق تتطلب تكاتف الجهود وتكثيفها، وتعزيز كادر الجامعيين المدربين، ووضع خطط زمانية ومكانية للتوثيق تغطي مختلف (الإمارات) ومختلف الفئات الاجتماعية فيها.

#### 4. أهمية تدوين السيرة الذاتية لرجال الإمارات

خلال الأشهر الأخيرة من العام المنصرم 2020م كنتُ ضيفاً على برنامج تاريخي في إذاعة الشارقة عنوانه (عابرون مكثوا)، من إعداد الأستاذة (خولة عبد الله حياز)، تناولت فيه سير شخصيات إماراتية أدت دوراً علمياً وثقافياً ودينياً وتربوياً في القرن العشرين، وبالأخص مرحلة ما قبل قيام الاتحاد، وكانت عمدتاً في سرد المعلومات عنها مصدرين في غاية الأهمية لولاهما لصاغت أهم تلك السيرة، ذلكم هما :

- كتاب (رجال في تاريخ الإمارات)، (جزآن)، تأليف الدكتور (عبد الله علي الطابور).
- كتاب (الإمارات في ذاكرة أبنائها: فنجان قهوة)، (ثلاثة أجزاء)، تأليف الصحفي والباحث (عبد الله عبد الرحمن رحمة)؛ وهذا الكتاب عبارة عن مقابلات المؤلف مع شخصيات كثيرة عام 1984م، كان قد نشرها تباعاً في صحيفة الاتحاد، وهي تغطي جميع (الإمارات) من مختلف الفئات، وقد صُنِّفت مادتها إلى ثلاثة مجالات: الحياة الاجتماعية، والحياة الاقتصادية، والحياة الثقافية. فخصّص لكل منها جزءاً من الكتاب.

ولقد انتقل جميع أولئك الأشخاص إلى جوار ربهم، وربما كان آخرهم المرحوم الحاج (سعيد بن أحمد لوتاه)، الذي قضى نحبه عام 2020م، بعدما جاوز التسعين من عمره.

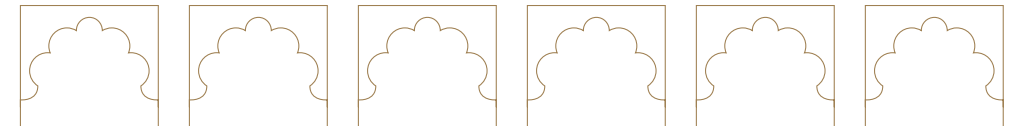
وإن مما يؤسف له أن بين ظهرانينا اليوم الكثير من الشخصيات التي أدت أدواراً عظيمة في بناء صرح الاتحاد وساهمت في النهضة المباركة، وقدمت أعمالاً وإنجازات جليلة وأثّرت الحياة بعطائها، لكننا لا نكاد نجد لها شيئاً يذكر سوى نبذة بسيطة أو معلومات مشتتة في الصحف، وكان يجدر بها أن تخلد تاريخها وسيرها للأجيال القادمة من أبناء دولتها في مذكرات مفصلة تكون بمثابة سيرة ذاتية، تضم تاريخ الشخصية منذ الطفولة والنشأة الأولى، مروراً بالعوامل التي تركت بصمتها في حياتها والمراحل التي مرّت بها في مسيرتها وملامح كل مرحلة حتى بلوغها ذروة المكانة التي تبوأتها، والتي تعتبر القمة في تاريخها، مع عدم التغاضي عن ذكر الأخطاء والعثرات والنهوض منها، التي هي أمر ملازم لكل البشر، ومنها تستخلص الدروس والعبر.

## 5. ألعابنا الشعبية في سبيلها إلى الاندثار

تمثل الألعاب الشعبية الإماراتية جزءاً مهماً من التراث المادي (لدولة الإمارات العربية المتحدة)، نظراً إلى وظائفها النفسية والبدنية والاجتماعية والترفيهية والتربوية وقيمتها التراثية العريقة لدى شرائح المجتمع بمختلف أنواعها.

لقد نشأت تلك الألعاب بحكم الحاجة إلى الترفيه والتسلية والمرح ومشاركة الزملاء في الأنشطة الترفيهية، وبمرور السنين وتتابع الأجيال والاحتكاك مع الشعوب المجاورة؛ تنوعت وكثرت تلك الألعاب، فصارت هناك ألعاب خاصة بالذكور، مثل: (لعبة التيلة، وهشت وأقرع، وحبيل الزين)، وأخرى خاصة بالإناث، مثل: (المرحانة، والصقلة، والمحامة)، وثالثة مشتركة بين الجنسين، مثل: (وين خالك، الدسيس، طار الطير)، وأيضاً هناك ألعاب للأطفال، وأخرى للبالغين، وثالثة للكبار، ومن ناحية ثالثة هناك ألعاب فردية، وألعاب زوجية، وألعاب جماعية. ثم إن لدى أبناء البيئات المختلفة (الساحلية، والصحراوية، والجبليّة) ألعابهم الخاصة بهم، والمعبرة عن تراثهم ومعطيات بيئاتهم الطبيعية، ولكل من تلك الألعاب قوانينها المتعارفة، ومصطلحاتها الشائعة بين لاعبيها، وأدواتها الخاصة بها الموجودة في البيئة المحلية.

لكن دخول الحياة الحديثة بكل زخمها ومعطياتها الحضارية غير المحدودة وارتفاع مستوى المعيشة عند الشريحة المواطنة بالذات في العقود الأربعة الأخيرة، رغم جوانبه الإيجابية هو من جانب آخر قد ترك آثاراً سلبية على هذا اللون من التراث الإماراتي العريق، حيث اخفت أو كادت تختفي تلك الأنواع الكثيرة من ألعابنا الشعبية التي مارسها جيل الآباء والأجداد في بهجة وسرور ونشاط، حتى إن أن الجيل الحاضر لا يكاد يسمع عن تلك الألعاب، وإذا سمع ببعضها في حديث عابر أو من خلال زيارة المتاحف فإنه لا يعرف عن كيفية ممارستها ولا عن قوانينها أو مصطلحاتها شيئاً،



ولعلّ من أهم العوامل التي أدّت إلى تلاشي تلك الألعاب من عالم الطفولة وجود البدائل الحديثة بدءاً من الدُمى وانتهاءً بالألعاب الإلكترونية، وحلول مباريات كرة القدم والسلة والطائرة... إلخ، وهي ألعاب عالمية الطابع حلت محل ألعاب الكبار التقليدية الشعبية.

وقد انزوت تلك الألعاب في بطون كتب التراث الشعبي التي اعتنى بتدوينها عدد من الباحثين الذين يستحقون كل الشاء والإطراء على جهودهم، ولعلّ أبرزهم الدكتور (عبد الله علي الطابور)، والأستاذ (عبيد راشد بن صندل)، غير أن الألعاب -مثلها مثل اللغة- لا تحيا إلا بالممارسة، وإلا أصبحت معارف ميتة لا روح فيها.

إن ألعابنا الشعبية تراث جدير بالإحياء ويستحق المحافظة عليه وتعليمه للأجيال الناشئة لكونه من الجوانب الإيجابية الجميلة في تراث (الإمارات)، ولذا فأنا أغتتم الفرصة لأدعو الجهات المعنية بصون التراث الشعبي -وعلى رأسها (مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث)- إلى تأسيس جمعية خاصة للألعاب الشعبية تأخذ على عاتقها توثيق تلك الألعاب، وتنظيم دورات في تلك الألعاب للناشئة، وتنظيم مباريات دورية تُرصد لها جوائز تشجيعية، ولا شك أن تلك الفكرة تتطلب جهداً ليس بالهين في سبيل بعث تلك الألعاب الجميلة التي نسيها كثير من الكبار وجهلها الصغار، إنه هدف ليس بالمستحيل، ويستحق منا بذل الجهد من أجل إحياء هذا الجانب الجميل والممتع من تراثنا الإماراتي العريق.

## 6. تراثنا الشعبي .. ماذا نأخذ منه؟ وماذا ندع؟

يمثل التراث أحد الجناحين اللذين تطير بهما الأمم الواعية نحو مستقبلها الزاهر، وهما: (التراث والمعاصرة)، فالإكتفاء بالتراث وحده والتقوقع داخل إطاره جمودٌ وتخلّفٌ، وتأخّرٌ عن ركب التقدم والتطور، والانقطاع عن التراث زهداً فيه واستغناءً عنه واستصغاراً له، هو فقدانٌ لذاكرة الأمة، ومسحٌ لهويتها الوطنية والقومية، وتفريطٌ في كنز تجاربها التليد.

إن الحفاظ على التراث الشعبي مسألة لا تؤخذ على علاتها، بل هو مشروع يتطلب القيام بعملية انتقائية دقيقة وواعية ومستمرة ومحكومة بضوابط، يُصطفى فيها الصالح من عناصر التراث الشعبي؛ كي يحتفظ بها المجتمع المعاصر ويعمل على إحيائها ثم نقلها إلى الأجيال القادمة من أبنائه، وذلك في إطار تصور شامل لحاجات المجتمع المحلي الآتية وتطلعاته المستقبلية.

ولعلّ أهم المبررات للقيام بعملية الانتقاء هو أن غالبية عناصر التراث الشعبي نشأت وتبلورت في الحقبة التي سبقت دخول التعليم الحديث والتنظيمات الإدارية الحديثة، وقد اتسمت تلك الحقبة بالتمزق السياسي، وتدني مستوى التمدن، وانخفاض مستوى المعيشة، وتفشي الأمية، ومن ثم اعتاد الناس ممارسات وسلوكيات وقيماً اجتماعية وتربوية وصحية لا تخلو من بعض الأخطاء، لذا فهي بحاجة إلى إعادة النظر وإلى التصحيح أو التطوير، أو في بعض الحالات وضعها على الرف لانعدام الحاجة إليها، أو لكونها تعتبر في العرف العام حالياً عناصر سلبية ضارة بالمجتمع الحديث.

ويمكننا تصنيف العناصر التراثية التي ينبغي استبعادها كما يلي:

### 1. عناصر تتعارض مع الأسس والثوابت التي قام عليها اتحاد الإمارات

مثل

- التحزبات السياسية القديمة (هناوي وغافري).
- التعصب الإثني<sup>1</sup>، والتفرقة العنصرية تجاه الأعراق التي يتألف منها الشعب الإماراتي.
- التعصب الديني، والتكفير ضد المخالفين في المذهب.
- الغزو.

### 2. عناصر مُجرّمة قانونياً:

- حماية المجرم المستجير.
- الأخذ بالثأر.
- نظم وتداول ونشر قصائد الهجاء المتضمنة تجريحاً للأفراد والأسر والهيئات.

### 3. عناصر ثبات تخلّفها، ووجد البديل الذي هو أفضل منها:

تشمل جميع الوسائل المعيشية القديمة التي وُجد البديل التكنولوجي الذي هو أفضل منها من حيث: سرعة الأداء، وجودة الإنتاج، والجدوى الاقتصادية، وتوفير شروط السلامة، والتوافق مع سلامة البيئة... إلخ.

### 4. عناصر ضارة بالصحة العامة أو متعارضة مع سلامة البيئة:

- استخدام الطب الشعبي بديلاً عن الطب الحديث.
- استخدام سيف البحر دورة مياه عمومية.

1. التعصب الإثني: هو الانتماء إلى مجموعة إثنية يميل إلى أن يكون محدد بالاشتراك بالتراث الثقافي، أو السلف، أو أسطورة الأصل، أو التاريخ، أو الوطن، أو اللغة، أو اللهجة، الأنظمة الرمزية، مثل: الميثولوجيا والطقوس، المطبخ، أسلوب الملابس، والفن.



##### 5. عناصر ينبو عنها الذوق العام نتيجة التطور، مثل:

- ارتداء الأزياء المحلية القديمة التي تجاوزها الزمن، وحلّت محلها تصاميم حديثة للأزياء الوطنية.
- تعمّد التحدث باللهجة المحلية القديمة المفعمة بالمفردات الغريبة على أبناء الجيل الجديد.

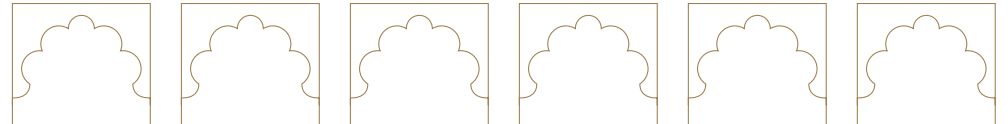
##### 6. عناصر مبنية على معارف ومعتقدات خاطئة أو قائمة على الخرافات والأوهام، وتتعارض مع العقيدة الإسلامية كما تتعارض مع العلم الحديث:

تبني المعارف والمعتقدات القديمة التي تتعلق بمختلف شؤون الحياة والكون، وثبت خطؤها علميًا وليس لها أساس من الدين، ومن ثم يترتب عليها نتائج سلبية مثل: اللجوء إلى استخدام الشعوذة أو حلقات الزار لعلاج الأمراض النفسية والعقلية، وأحيانًا البدنية، ويدخل فيها التشاؤم من رؤية المعوقين في الصباح.

##### 7. عناصر تؤدي إلى تعويق حركة التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الدولة:

- حرمان المرأة التعليم، أو العمل في الوظائف المختلفة المناسبة لطبيعتها والمتماشية مع قيم المجتمع، وعدم السماح لها بالمشاركة في الحياة العامة، أو منعها من قيادة السيارة.
- احتقار التجارة والعمل اليدوي.

إن الكثير من تلك العناصر قد انزوت تلقائيًا بفعل عجلة التطور وارتقاء الوعي العام، وقد عملت حكومة (الإمارات) بمختلف مؤسساتها على توجيه عملية الانتقاء تلك، بحيث أخذت مسارها الصحيح، وكلنا يعرف القانون الطبيعي القائل: (إن البقاء للأصلح)، الذي يشمل فيما يشمله (عناصر التراث الشعبي).



## 7. متاحف التراث الشعبي في دولة الإمارات

تحظى المتاحف باهتمام عالمي متزايد نظراً إلى ما تضطلع به من مهام متنوعة تعليمية وثقافية وترفيهية، إضافة إلى دورها المهم في تعزيز الهوية الوطنية في نفوس المواطنين، وقد اهتمت إمارات الدولة على المستوى المحلي بإنشاء متاحف تجمع بين الآثار والتراث الشعبي، وأقدمها متحف (دبي)، الذي يقع في (حصن الفهيدي)، يليه (متحف مدينة العين في أبوظبي)، وهما اللذان افتتحا في عام 1971م بفارق عدة أشهر.

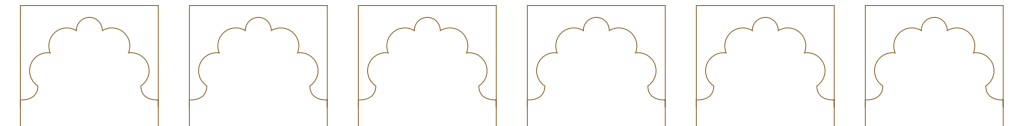
وتتنوع المتاحف بتنوع جوانب الحياة المختلفة، ويعنينا منها هنا متاحف التراث الشعبي، التي تختص بحفظ وعرض المقتنيات الخاصة بالحياة الشعبية والثقافة المحلية، خلال حقبة زمنية محددة (ما قبل ظهور النفط مثلاً).

### وتنقسم متاحف التراث الشعبي من حيث الشمولية والتخصص إلى فئتين:

أ. **متاحف شاملة:** تسعى إلى تغطية جميع جوانب الحياة الشعبية في مختلف البيئات بالدولة.

ب. **متاحف متخصصة:** وهي تعرض جانباً معيناً فقط من تراث الدولة، مثل: (الطب الشعبي، والغوص على اللؤلؤ، والأزياء، وتاريخ التعليم)، أو تعرض تراث منطقة محلية عبر مراحل زمنية، مثل: (بيئة الجبال، والبيئة الصحراوية، والبيئة الزراعية)، أو تراث فئة معينة من مواطنيها، (كمتحف المرأة).

ولا تكاد تخلو دولة من دول العالم من وجود متاحف للتراث الشعبي لما لهذا النوع من أهمية حضارية واقتصادية متعددة الجوانب.



وإلى جانب متاحف التراث الحكومية نجد عدداً من المتاحف شبه الرسمية التابعة لبعض جمعيات الفنون الشعبية، مثل: (متحف عالم البحار)، التابع لجمعية ابن ماجد للفنون الشعبية والتجديف في رأس الخيمة، الذي افتتح عام 1996م. ونجد ظاهرة انتشار المتاحف الخاصة التي ينشئها أفراد من هواة جمع التراث الشعبي، وينفقون بسخاء في سبيل تكوينها وتزويدها وإغناء مجموعاتها بالنوادير تحقيقاً لعدة أهداف، أهمها

- إشباع هواياتهم الشخصية.
- الغيرة على التراث الشعبي من الاندثار.
- اكتساب الشهرة.

أنشئت متاحف التراث الشعبي في إمارات الدولة السبع لتحقيق العديد من الأهداف النبيلة التي يمكننا تصنيفها كما يلي

### أولاً: أهداف وطنية

1. حماية الثقافة المحلية والتراث الشعبي الإماراتي من الاندثار، باعتبارهما جزءاً لا يتجزأ من الهوية الوطنية التي نعتز بها ونحرص على غرسها في نفوس الأجيال القادمة، خصوصاً في ظل الانفتاح العشوائي على العالم بشعوبه وثقافته المختلفة، الذي نتج عنه

أ. اختلال التركيبة السكانية، حيث تحولت الشريحة المواطنة تدريجياً إلى أقلية في بلادها نتيجة الهجرة الكثيفة القادمة من شتى بقاع العالم بحثاً عن فرص عمل.

ب. إفراز واقع ثقافي بعيد عن الموروث الشعبي، الذي هو أحد أوعية الثقافة الجادة، ورافد التنمية الثقافية في المجتمع الإماراتي.

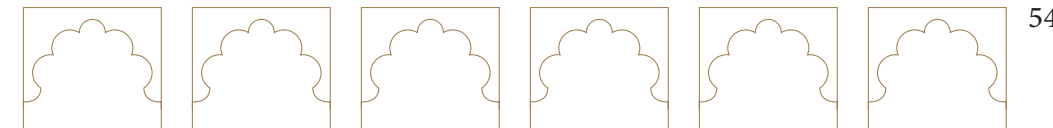
2. أن تكون المتاحف رمزاً معبراً عن العراقة والأصالة والقيم الاجتماعية للمجتمع الإماراتي.

### ثانياً: أهداف تربوية تعليمية

1. تعريف أبناء الجيل الجديد بتراث دولتهم وبطبيعة الحياة في مجتمع (الإمارات) خلال مرحلة ما قبل النفط، وأساليب تكييف الأجيال السابقة مع صعوبة العيش وفقير البيئة الطبيعية، وهذا ما يُشعر الجيل الناشئ بعظم المنجز الحضاري الذي تحقق على أرض (الإمارات) خلال العقود الخمسة الأخيرة ووجوب المحافظة عليه.
2. توفير وسائل تعليمية فعالة تساعد الطلبة على إثراء الجوانب المعرفية والوجدانية المتعلقة بتاريخ وتراث (الإمارات) التي يدرسونها في مناهجهم الدراسية، من خلال مشاهدتهم للعروض المتحفية وما يصاحبها من مؤثرات صوتية ومواد فيلمية؛ تعزز لديهم مهارات الاستكشاف والدراسة والملاحظة والتفكير النقدي والتأمل والحوار.
3. إتاحة الفرصة للباحثين وطلبة الجامعات لدراسة الفلكلور الشعبي والعمارة التقليدية المتمثلة في الحصون والقلاع التاريخية التي أقيمت فيها المتاحف.

### ثالثاً: أهداف ثقافية

1. ردم الفجوة الثقافية بين الأجيال المتتابة، في وقت أصبح فيه جيل الشباب يعاني سرعة التغير الاجتماعي في مختلف الجوانب الحياتية، وهذا أوجد فجوة كبيرة بينه وبين جيل الآباء والأجداد، وأصبح النشء الجديد لا يعرف إلا أقل القليل عن حياة أسلافه وطبيعة مجتمعه المحلي في الماضي.



2. تعريف السياح الأجانب والمقيمين على أرض الدولة بـتراث (الإمارات) وفلكلورها الشعبي المعبر عن أصالتها وحضارتها القديمة، فالسائح الأجنبي لا تستهويه مشاهد الأبنية الحديثة ووسائل المواصلات والمصانع؛ فهي موجودة في بلاده، بقدر ما يستهويه التعرف بمعالم الأصالة والعراقة التي تميز الدولة عن غيرها من دول العالم، والمتمثلة في تراثها الأصيل وفنونها وثقافتها الخاصة وسلوكيات أهلها.

### رابعاً: هدف دعائي

أن تصبح مزاراً للضيوف الرسميين الذين يزورون الدولة، حيث يجري إدراج المتاحف ضمن المعالم الحضارية التي يتضمنها برنامج زيارات رؤساء الدول أو الوزراء والسفراء، وذلك بهدف إعطاء الضيوف لمحة عامة عن تاريخ وتراث (الإمارات) وعراقتها، ومحو الفكرة التقليدية السائدة -مع الأسف- في بعض الدول الغربية، وهي أن (الإمارات) حديثة النشأة، وأنها تفتقر إلى الجذور التاريخية الضاربة في أعماق الزمن.

### خامساً: هدف ترفيهي

أن تصبح وجهة ترفيهية للأفراد والعائلات خلال أوقات الفراغ، حيث يجدون فيها ملاذاً من صخب الحياة المعاصرة بضجيجها وتعقدها، بخلاف حياة الماضي التي تتسم ببساطتها وعفويتها.

### سادساً: هدف اقتصادي

تمثل رسوم زيارة المتاحف أحد مصادر الدخل الاقتصادي في الإمارة، باعتبارها معلماً سياحياً تابعاً لقطاع السياحة الذي يشكل مورداً اقتصادياً مهماً تسعى مختلف الدول إلى تنميته واستثماره من خلال جذب الأفواج السياحية وتوفير الخدمات المتميزة لها.

## الالتزام بأداب زيارة المتحف:

تحرص إدارات المتاحف عمومًا على وضع لائحة باللغتين العربية والإنجليزية، وأحيانًا بلغة الأردو، تتضمن تعليماتٍ مُلزمةً للزوار يُمنع تجاوزُها، ومن أهمها

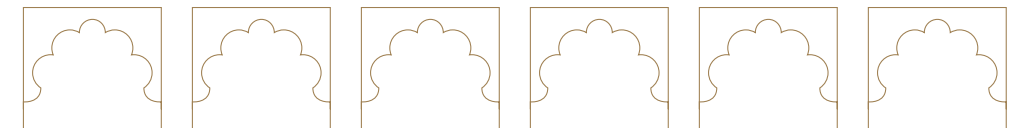
1. التدخين: يكون المنعُ بآثًا في الغالب، وقد يُسمح به في أماكن معينة في الساحة الخارجية بعيدًا عن أماكن العرض، وذلك تفاديًا من وقوع حريق يؤدي إلى خسائر لا تُعوّض في الأرواح والمقتنيات المتحفية القيمة والنادرة.

2. دخول الأطفال لوحدهم دون مرافقين بالغين من ذويهم، وذلك لسببين رئيسيين:

- صعوبة السيطرة على حركاتهم الصبائية، والفوضى والضوضاء التي يُحدثونها، وهذا ما يُزعج زوارَ المتحف، ويُقلق المشرفين عليه.
- لكونهم لا يتحملون مسؤولية ما ينتج عن سلوكياتهم الخاطئة من تخريب وإتلاف لمحتويات المتحف.

3. إدخال الطعام والشراب إلى المتحف، تفاديًا من تلويث المكان ببقايا الأطعمة والأشربة، ومنع انتشار روائح الأطعمة داخل الأقسام.

وتسمح بعض المتاحف لزوارها بتناول طعامهم في الساحة الخارجية المظللة؛ شريطة الحفاظ على نظافة المكان والامتناع عن رمي المخلفات في الساحة أو على الرقعة الخضراء.



4. منع التصوير: وهي سياسة تتبعها بعضُ المتاحف دون بعض، وهذا المنع قد يكون

شاملاً لجميع فئات الزوار، وقد تُستثنى منه فئات معينة كالضيوف الرسميين،

أو الباحثين وطلبة الدراسات العليا. ويهدف المنع إلى:

- الحيلولة دون سرقة الأفكار وطرق العرض المبتكرة، حفاظًا على تميّز المتحف.
- منع استخدام صور المعروضات لأغراض دعائية للشركات.
- عدم مضايقة الزوار الآخرين.

غير أن الهواتف النقالة الحديثة والمزودة بكاميرات جعلت عملية منع التصوير غير

فعالة، ومن الصعب التغلب عليها.

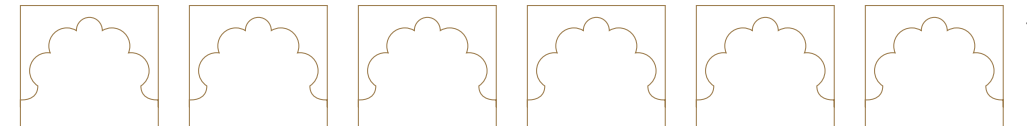
## 8. الحصون والأبراج في التراث المعماري الإماراتي

تمثل العمارة العسكرية نمطاً مهماً جداً من أنماط التراث المعماري في دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد كانت الحصون والقلاع، وكذلك الأبراج، بمثابة خطوط دفاع عن الإمارة التي أُنشئت فيها، وتعتز (الإمارات) السبع اليوم بما تحتضنه من تلك المباني التاريخية الضاربة جذورها في أعماق التاريخ المحلي، التي ترتبط بتاريخ الأسر الحاكمة الكريمة، ويعود تاريخ بناء بعضها إلى القرن الثامن عشر، وبعضها إلى القرنين التاليين.

ولقد كانت الحصون (مفردها حصن) مقراً للأسر الحاكمة منذ القدم، فكان الحاكم وأبناؤه وزوجاتهم وتابعوهم يقيمون فيها، وتتكون في العادة من دورين 1. دور علوي، تسمى حجراته بالغُرف، وفيها الغرفة الرئيسية التي يسكنها الحاكم مع قرينته، ويشغل أبناؤه الكبار غُرفاً أخرى، وتلك الغُرف عادةً شبابيكٌ تطلُّ على الخارج ليدخل منها النسيم، وكذلك تؤدي غرض المراقبة.

2. دور أرضي، يضمُّ: مجلس الحاكم، ومخزناً للأسلحة، ومستودعاً للمواد الغذائية، إضافة إلى المطبخ، وبخَّار للتمور يحتوي على مدبسة، وأيضاً يُقيم بعض المستخدمين الدائمين في بعض تلك الحُجرات.

ويكون الحصن محمياً بأبراج تحيط بركنين من أركانه، وأحياناً تصل إلى أربعة أبراج دائرية الشكل، أو مربعة، تتوج أعلاها شرفات، ولها فتحات منتظمة يتمترس



خلفها الحراس في حالة حدوث هجوم على الحصن، ويبدوون في إطلاق نيران بنادقهم على العدو المهاجم، وجرت العادة أن تكون الحصون مزودة بمدافع يجري نصبها على جانبي بوابة الحصن، موجهة فوهاتنا نحو الخارج، وإلى جانب الحصون تتناثر مجموعات من الأبراج في المواقع الحساسة والاستراتيجية المطلّة على الطرق الرئيسية، التي يسلكها القادمون إلى المدن، ووظيفة البرج هي المراقبة، وخصوصاً في أوقات الحروب أو في حالة مهاجمة قطاع الطرق لأطراف المدن، ويقوم في البرج حارس على مدى 24 ساعة، يصعد إليه بحبل، ويجري إيصال الطعام والشراب إليه بواسطة جَفير من الخوص، يتدلى بحبل، وقد بنيت الحصون والأبراج قديماً من حجارة البحر المرجانية والجص وخشب الجندل، أمّا في المناطق الجبلية فكانت تبنى من صخور الجبال، وهذا ما يطيل عمرها الافتراضي، ولو أخذنا (إمارة دبي) مثلاً فسنجد أنها تضمُّ عدداً من المباني الدفاعية القديمة، أهمها: حصن الفهيدي (مُتحف دبي حالياً)، وحصن حتا، وبرجان: شمالي وجنوبي، قائمان فوق الجبال.

ومن أشهر أبراج المدينة: برج نهار، وبرج مربعة البراحة، ومربعة الوعيل، ومربعة  
الشندغة، ومربعة عيال ناصر.



تُعَرَّف الوثيقة لغويًا بأنها : ما يُحَكَم به الأمرُ فيصبح وثيقًا، وتعني أيضًا الصَّكُّ بالدين أو البراءة منه، أو المستند وما جرى مجراه.

وأما معناها الاصطلاحي فهو : المادة التي تتضمن معلومات متنوعة وحججًا وبراهين، ويمكن استخدامها سجلًا للأحداث التي تقرر حفظها لأهميتها السياسية، أو القانونية، أو الشرعية، سواء بالنسبة إلى المؤسسات أو الأفراد، ولها تعاريف أخرى لا محل لسردها هنا.

وقد أدرك المغفور له -بإذن الله- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بثاقب نظره أهمية إنشاء مركز للوثائق، وهو السالف للأرشيف الوطني الحالي، فأُسِّس (الأرشيف والمكتبة الوطنية) في مبنى قصر الحصن عام 1968م؛ ليعنى بجمع الوثائق والمعلومات المتعلقة بتاريخ شبه الجزيرة العربية وثقافتها عامة ودولة الإمارات العربية المتحدة خاصة، من مصادرها الأصلية في البلاد العربية والأجنبية، وتوثيقها وترجمتها.

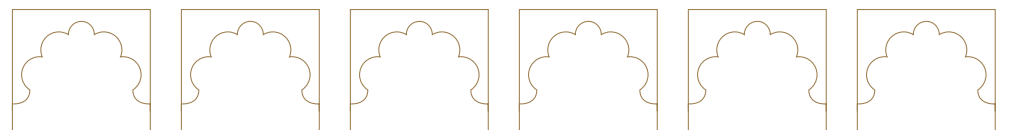
والحقيقة أن هناك ثروة كبيرة من الوثائق الشخصية التي تعود إلى ما قبل قيام دولة الاتحاد المباركة لا تزال في حوزة الأفراد بحكم خصوصيتها، وهي تتنوع ما بين ملكيات الأراضي والوثائق الثبوتية والصكوك الشرعية والرسائل والمبايعات... إلخ، وتمثل في مجموعها مادةً خامًا غنيةً ومصادر في غاية الأهمية لدراسة التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لمجتمع الإمارات خلال حقبة ما قبل الاتحاد، ويصعب على الباحثين في أغلب الأحيان الاطلاع عليها لأسباب متنوعة، ولا شك أن قسمًا كبيرًا من الوثائق قد تلف بمرور السنين؛ إما عمدًا أو بسبب الإهمال وسوء التخزين.

فقديمًا كانت الأوراق المهمة تودع داخل غلاف طلع النخيل الذي يتميز بأنه أملس، ويُربط بخيط ليضم في جوفه أوراق الملكيات، وبعضهم يكتفي بلف الأوراق في قطعة قماش أو علبة معدنية (قوطي) قبل ظهور الأصابير والتخزين الإلكتروني.

وهناك حاجة ماسة إلى نشر الوعي الوثائقي في أوساط الجمهور لأهمية المحافظة على وثائقهم ونسخها وإتاحتها للباحثين، وعدم التردد في تزويد مراكز الوثائق بنسخ منها خدمة للبحث في تاريخ دولة الإمارات الحبيبة، وهو عمل ينم على حس وطني ورقي في الوعي والإدراك.

# مشاريع مُقترحة

## الباب الثالث



## 1. مشروع إنشاء متحف للنخلة

تعد أشجار النخيل أشهر أشجار (الإمارات) على الإطلاق، وذلك نظرًا إلى اعتبارات عدة، منها

1. أنها كانت مصدرًا لأهم مادة غذائية قابلة للتخزين مدة طويلة، وهي التمور، وكانت ثمارها الطازجة (الرطب) تُستهلك على مدى أربعة أشهر، وتُستهلك التمور المجففة طوال العام في مختلف البيئات (الساحلية، والصحراوية، والجبلية الزراعية).

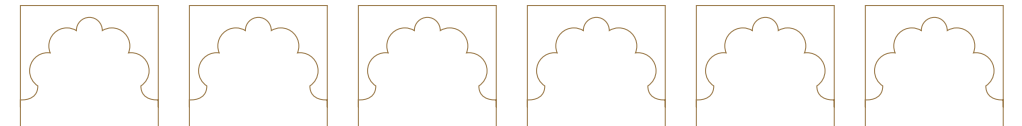
2. أنها منجم للمواد الأولية، استطاع إنسان (الإمارات) منذ القدم استغلال جميع أجزائها في شؤون حياته المختلفة كـ (الغذاء، والمسكن، والأدوات المنزلية والأثاث، والوقود، والأعلاف... إلخ) فلم يكن يرمي شيئًا من أجزائها.

3. المكانة الدينية للنخلة باعتبارها شجرة مباركة، ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية في معرض الثناء والتذكير بنعم الله على الإنسان.

4. منظرها الجميل، واخضرارها الدائم، وتحملها للعطش مدة طويلة، وهذا ما جعلها شجرة مثالية في التأقلم مع البيئة الصحراوية.

5. وحظيت النخلة باهتمام منقطع النظير من المغفور له -بإذن الله- الشيخ (زايد بن سلطان آل نهيان)، الذي شجّع الإكثار من غرسها، واصطفاء الأنواع الممتازة منها.

6. وبناءً على هذه الأهمية للنخلة في البيئة المحلية ومكانتها في التراث الإماراتي أُسست جمعية أصدقاء النخلة 2003م، ثم جائزة الشيخ خليفة الدولية لنخيل التمر عام 2007م، إضافة إلى ما توليه وزارة البيئة والمياه من اهتمام لهذه الشجرة ورعايتها بالطرق العلمية، ونشر الوعي بطرق زراعتها.



7. انطلاقًا من هذه الاعتبارات تبرز أهمية إنشاء متحف خاص بالنخلة، يهدف إلى التعريف بها من مختلف الجوانب العلمية والتاريخية والاقتصادية والتراثية والبيئية، وإبراز الجهود الحكومية والأهلية في المحافظة عليها.

ويمكن أن يتضمن المتحف المقترح عددًا من الأقسام منها:

- التعريف بأنصاف النخيل المحلية مع نماذج من ثمارها.
- جوانب الاستفادة من النخلة، قديمًا وحديثًا، باعتبارها منجمًا غنيًا بالمواد الأولية، بحيث تُعرض -بتوسُّع- أوجه الاستفادة من كافة أجزائها، وخاصة المصنوعات الخوصية.
- الأساليب الزراعية المحلية التقليدية في زراعة النخيل، من غرس وتلقيح وجني للثمار وتحويلها إلى تمور، واستخراج اللدبس، وعملية التخليب... إلخ، والتعريف بالآفات الزراعية وطرق مقاومتها.
- الجانب الأدبي مما أبدعته قرائح شعراء (الإمارات)، ونصوص الأهازيج التي كانت تُنشد أثناء العمل في مزارع النخيل قديمًا، والأمثال الشعبية التي ورد فيها ذكر النخلة.
- الشيخ (زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-) وعنايته بزراعة النخيل والمحافظة عليها، والجهود الحكومية والأهلية المبذولة في هذا المجال.



## 2. مشروع (موسوعة أعلام الإمارات)

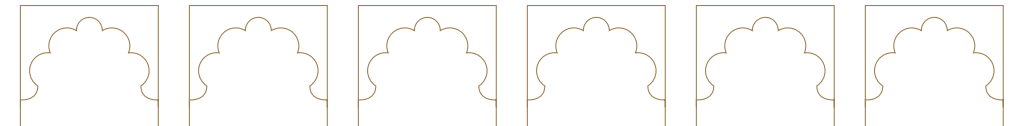
تبرز الحاجة في (دولة الإمارات العربية المتحدة) إلى تأليف موسوعة شاملة تضم تراجم شخصيات الإمارات قديمها وحديثها، ممن لمعت أسماؤهم في تاريخ بلادنا الحبيبة عبر القرون، وذلك تحقيقاً لعدة أهداف، أهمها

1. توفير مرجع معتمد في التراجم يخدم الباحثين في تاريخ (الإمارات) كما يخدم عموم المثقفين.

2. تخليد ذكرى أولئك الأعلام الذين أدوا دوراً لا ينسى في تاريخ (الإمارات) في مختلف الشؤون الحياتية.

3. فتح مجال واسع أمام الباحثين لاستقصاء ملامح شخصيات (الإمارات) وتتبع جوانب حياتهم، وهذا ما يثري الحياة الثقافية وينشط حركة البحث والتأليف.

ومن حسن الحظ أن ظهرت عدّة مؤلفات متخصصة تناولت تراجم العشرات من الأعلام البارزين، ولعلّ من أبرز جامعي تلك التراجم ودارسيها: الدكتور (عبد الله علي الطابور)، الذي اعتنى بتراجم مشاهير رجالات النهضة الثقافية والتعليمية في المدة التي سبقت قيام الاتحاد، أيضاً نذكر جهدَ الدكتور (عارف الشيخ) في تراجمه لرجال السلك القضائي، والأستاذ (بلال البدور) في تراجمه لشعراء الفصحى في (الإمارات)، والأستاذ (سلطان العميمي) في دراسته لخمسين من شعراء النبط، وهذا يوفر كثيراً من وقت وجهد جامعي تراجم الموسوعة الشاملة، وتبقى بعد ذلك تراجم حكام وشيوخ (الإمارات) وأعيانها في عالم السياسة والإدارة والاقتصاد والإعلام... إلخ، ولا بد أن يكون للمرأة نصيبها من التراجم الذي يعبر عن دورها ومكانتها قديماً وحديثاً، باعتبارها نصف المجتمع.



وفي رأيي أنه من الصعوبة بمكان أن يضطلع باحث واحد بكتابة موسوعة شاملة للتراجم، بسبب ضخامة العمل، وقلة المصادر المطبوعة، والاضطرار من أجل ذلك إلى إجراء مقابلات لا حصر لها مع أهالي الشخصيات أو معارفهم في مختلف مناطق الدولة، وصعوبة إمام المؤلف بمختلف شؤون الحياة التي تتوزع عليها الشخصيات، وهذا ما يستلزم تكليف فريق عمل مُتخصّص يُنَاط به إنجاز المشروع، وترصد له ميزانية خاصة، ويعمل حسب خطة زمنية مرنة، ولا شك أن مشروعاً كبيراً كهذا يتطلب سنوات من العمل المتواصل والجهد الذي لا يعرف الكلل، لكن العزيمة والإصرار والمثابرة كفيلة بتجاوز الصعاب، وبعدها سيصبح المشروع واقعاً ملموساً بإذن الله، وتأخذ موسوعة أعلام (الإمارات) مكانها اللائق بها في مصادر تاريخ (الإمارات العربية المتحدة).

### 3. مشروع استكمال توثيق التعليم شبه النظامي في دبي

يشكل تاريخ الحركة التعليمية في أي مجتمع بشري جزءاً لا يتجزأ من تاريخه الحضاري، فهو يلقي الضوء على درجة الوعي الاجتماعي بأهمية التعليم، ومدى تسخير الإمكانيات المتاحة لدعم ورعاية المؤسسات التعليمية، ودور مخرجات التعليم في النهوض بالمجتمع.

ولو رحنا نطبق هذه الحقيقة على مجتمع (الإمارات) خلال الحقبة التي سبقت دخول التعليم الحديث خلال عقد الخمسينيات؛ لوجدنا أن أماننا نوعين من المؤسسات التعليمية

1. مدارس الكتاتيب، وهي مدارس أهلية بدائية بسيطة اضطلعت بتعليم الناشئة من الجنسين القرآن الكريم وتهجئة الحروف، ويقوم على التعليم فيها المطاوعة والمطوعات، ويعتبر خاتم القرآن فيها خريجاً.

2. مدارس شبه نظامية، وهي أرقى مستوى من الكتاتيب تنظيمياً وإدارةً وتنوعاً في المواد التعليمية، التي تشمل إلى جانب القرآن الكريم القراءة والكتابة والنحو والخط والإنشاء والحساب والتوحيد والفقه والحديث والسيرة النبوية والأخلاق، وتقتصر على تعليم الذكور اليافعين.

وهي بدورها مدارس أهلية قامت بجهود عدد من الوجهاء وتجّار اللؤلؤ الذين أنشؤوها ورعوها وجلبوا لها المعلمين ووفروا لها مستلزمات التعليم، وكان هؤلاء الرعاية من أكثر شرائح المجتمع وعياً بدور التعليم في ارتقاء المجتمعات وتطورها، وكان الحرص على نيل الأجر والثواب من الله تعالى دافعاً مهماً لهم، جعلهم يَسْخُونُ بالمال ويبدلون الجهد في سبيل نشر العلم والمعرفة، ويلاحظ أن أولئك الرعاية قد امتازوا نتيجة لأسفارهم واتساع معاملاتهم التجارية ببُعد النظر وسعة

الإدراك ووجود الرغبة في اللحاق بركب التطور، ولقد آتت المدارس التي أسسوها ثمراتها الياقة، فكانت مُخرجاتُها أجيالاً من القراء والكتّاب والمحاسبين ورجال الأعمال وعلماء الدين والمربين الأفاضل والمتقنين الأوائل الذين قامت على أكتافهم النهضة الحديثة.

ولقد حازت (إمارة دبي) نصيب الأسد من المدارس شبه النظامية ابتداءً من عام 1912م، الذي شهد إنشاء (المدرسة الأحمدية) على يدي الوجيه الشيخ (أحمد بن دلموك الفلاسي)، الذي توفي في نفس العام، فأكمل بناءها ورعاها بعد موته ابنه الشيخ (محمد بن أحمد)، تاجر اللؤلؤ الشهير، ومروراً (بمدرسة السالمية) التي افتتحها الوجيه تاجر اللؤلؤ (سالم بن مصبح بن حمودة السويدي)، مطلع العشرينيات، ثم (مدرسة السعادة) التي أنشأها في عام 1925م كل من: (يوسف بن عبد الله السركال، ومحمد بن عبيد البدور، وهلال بن رمضان الشميس)، ثم (مدرسة الفلاح) التي أسسها التاجر (محمد علي زينل)، نحو عام 1926م.

إن مَنْ يقرأ ما كُتب حول تاريخ المدارس شبه النظامية في (إمارة دبي) يدرك أن هذا الموضوع ما زال مجالاً خصباً للبحث واستجلاء العديد من جوانبه التي لم تدوّن بعد، أو لم تأخذ حقها من البحث والتقصي، وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نوجه جزيل الشكر والامتنان لباحثين كريمين من أساتذتنا الأفاضل أدياً خدمة جليلة لتاريخ التعليم في دبي، وهما:

1. المستشار (إبراهيم محمد بو ملحة)، على دراسته القيمة عن (الشيخ محمد نور : رائد التعليم في الإمارات)، الذي تطرق فيه بتوسع للمؤسسات التعليمية في الإمارة خلال النصف الأول من القرن العشرين.
2. الدكتور (عارف الشيخ) على دراسته الممتعة حول (تاريخ التعليم في دبي)، التي شملت التأريخ للتعليم في مستوياته الثلاثة: الكتاتيب، والتعليم شبه النظامي، والتعليم النظامي الحديث.

وقد وضع هذان الباحثان الفاضلان أساساً متيناً ينطلق منه الباحثون في تاريخ التعليم شبه النظامي في (إمارة دبي)، الذي يصلح لأن يكون أطروحة لنيل درجة الماجستير إن لم يكن للدكتوراة، إن أعداداً لا بأس بها من خريجي تلك المدارس لا تزال تعيش بين ظهرانينا، وهم يمثلون المصادر الرئيسية للمعلومات الشفاهية التي ربما لم يلتفت إليها الباحثون السابقون، ففي ذاكرة كل راوٍ منهم معلومات فريدة قد لا تجدها عند غيره، وهي جديرة بالتدوين وتوظيفها في سياق البحث التاريخي. إنني هنا أغتتم الفرصة لكي أقترح: (طرح مسابقة علمية)، تُرصد لها جائزة مالية كبيرة، لمن يؤلف أفضل بحث مُحكّم ورصين وموثّق حول تاريخ التعليم شبه النظامي في (إمارة دبي)، وهذا ما يُثري مكتبتنا التاريخية، ويلقي الضوء على حقبة غنية بالعطاء والسعي الدؤوب للتطوير رغم الظروف الحياتية الصعبة آنذاك، ويخلد أسماء الرعيل الأول من المربين الأفاضل الذين أوقدوا للأجيال اللاحقة مصابيح المعرفة.

#### 4. مشروع مقترح بشأن التراث المكتبي لإمارة دبي

كنت أطلع باستمتاع بالغ قبل أيام كتاباً صغيراً لكنه قيّم، جُمع بين المتعة والفائدة، عنوانه (الحياة الثقافية بدولة الإمارات العربية المتحدة)، وهو من تأليف الأستاذ البحّاث (بلال البدور)، وقد لفت نظري أحدُ فصول الكتاب، وهو عن (المكتبات بالإمارات قبل قيام الاتحاد)، فقد تناول فيه المؤلف عدداً كبيراً من المكتبات الخاصة في طول (الإمارات) وعرضها، التي أسسها علماء الدين والأدباء والمؤرخون في بيوتهم، واقتصرت الاستفادة منها غالباً على مُلاكها وبعض خواصهم من أفراد أسرهم أو تلامذتهم أحياناً، أو زملائهم من المشايخ، إضافة إلى المكتبات المدرسية التي حرص مؤسسو المدارس شبه النظامية على توفيرها خدمة للأساتذة والطلاب، ومكتبات الأندية والتجمعات الثقافية، مما كان يجهله غالبية المهتمين بالشأن الثقافي سابقاً، وقد نالت (إمارة دبي) من تلك المكتبات حظاً وافراً، حيث أعطى المؤلف نبذة جيدة عن مكتبات كل من المشايخ: (عبد الرحمن بن حافظ الأنصاري)، و(محمد نور بن سيف المهيري)، و(مبارك بن علي بن بشيت الشامسي)، و(السيد محمد الشنقيطي)، ورجل الأعمال (علي بن عبد الله العويس)، و(عبيد بن رحمة البدور)، والشاعر (مبارك بن حمد العقيلي)، إضافة إلى مكتبة النادي الأهلي الأدبي (ظهرت عام 1945م)، ثم مكتبة دبي العامة، التي أُسست عام 1963م، ومن الجدير بالذكر أن بواكير المكتبات التجارية ظهرت في (دبي) منذ عقد الأربعينيات من القرن العشرين، وكانت تجمع بين تجارة الكتب وبيع القرطاسية، التي نشطت تجارتها مع دخول التعليم النظامي الحديث بدءاً من عام 1956م.

إن هذا التراث المكتبي التليد جدير فعلاً بأن يُعرَض بطريقة حديثة ومبتكرة أمام الجمهور، بهدف تعريف المواطن والمقيم والسائح الأجنبي بعراقة النشاط الثقافي والمكتبي في (دبي)، وأقترح أن يخصص له ركن في مكتبة (الشيخ محمد بن راشد)، التي تُعدُّ الكبرى بين مكتبات الوطن العربي، ويمثل (الحفاظ على الموروث الثقافي) أحدَ الأعمدة الستة التي أقيمت عليها هذه المكتبة العظمى، ولا شك أن إبراز تراث دبي المكتبي هو من صلب الحفاظ على الموروث الثقافي للإمارة.

يُعد الشعر بنوعيه النبطي والفصيح أحد أهم مكونات التراث الأدبي الإماراتي الغني الذي توارثته الأجيال عبر القرون وأغناه كلُّ جيل منها بإنتاج قرائح شعرائه الموهوبين ، مع تفاوت في المحصلة من حيث الكم والكيف ، رغم فقدان الكثير من القديم لأسباب لا حصر لها ، وتنوعت فنون القول في الشعر النبطي، فهناك القصيدة والمربوع والتغرودة -والرزحة والعازي والعيديان، وهناك ما يصلح للنهيمات البحرية وحدااء الإبل وللمهاواة على الأطفال الرضع لتتويعهم ، هذا إلى جانب القصائد التي تقال لتتشد في اللوحات الشعبية كالعيالة والآهال والرزيف والأهازيج المختلفة.

ثم إن هناك تراثاً شعرياً فصيحاً أنتجه شعراء ذوو باع طويل في الثقافة اللغوية، تميز بجمال المعنى وروعة التصوير المبتكر وخلال الستين عاماً الأخيرة وجدت عشرات الدواوين سبيلها للطبع بدءاً من ديوان ( الماجدي بن ظاهر ) الذي اعتنى بطبعه المغفور له بإذن الله الشيخ ( حمدان بن راشد آل مكتوم ) طيب الله ثراه ، عام 1963 في ( المطبعة العمانية ) بدبي، لصاحبها ( هاشم السيد رضا الهاشمي )، ثم ازداد زخماً النشر بعد قيام الاتحاد وتعددت المؤسسات الثقافية التي تهتم بالجانب الأدبي والشعر ، إلى جانب ما نُشر بمجهود شخصي من قبل الشعراء أنفسهم أو ذويهم ، وضمت دواوين القصائد المختارة نخبةً جيدة من القصائد بعضها لشعراء مُقلين لم يكن بالإمكان إصدار دواوين خاصة بهم ، وكان للمرحوم ( حمد بوشهاب ) دور مهم جداً بجمع أشعار معاصريه وتأليف دواوين لهم ، كما تضطلع أكاديمية الشعر في العاصمة أبوظبي بدور كبير في نشر دواوين الشعراء القدامى والمحدثين ، وابتداءً من عقد التسعينيات كثر النشر الإلكتروني

عبر حسابات الشعراء والمهتمين بالتراث الأدبي ، ومن هنا بات من الضروري التفكير في مشروع إنشاء مكتبة متخصصة في الشعر الإماراتي ، من أهم أهدافها جمع تلك الحصيللة الضخمة المطبوعة من الأشعار وملاحقة كل جديد يصدر من دواوين شعراء الإمارات والدراسات المتعلقة بالشعر الإماراتي بنوعيه النبطي والفصيح ، إضافة إلى جمع التراث الشعري المخطوط وصيانته وعرضه للجمهور ، وحبذا لو كان لتلك المكتبة المركزية ، التي نطمح لظهورها على أرض الواقع ، فروع في عدد من الإمارات لتسهيل الوصول إليها .

## 6. مشروع دراسة توافيق وأختام شيوخ الإمارات

تكتسب التوافيق والأختام أهمية تاريخية وقانونية وفنية، وهي تدخل ضمن الوثائق التي تمثل مصادر أولية يستقي منها المؤرخون المادة التاريخية الخام، وهي من أهم ما يكسب الوثيقة الصحة والحجية في نظر المؤرخ، وتعتبر التوافيق والأختام عن موافقة الماضي وإقراره لما جاء في نص الوثيقة، فيصبح مُلزماً بما جاء فيها؛ لكونها تعتبر قرينة على مسؤوليته عن ما تضمنته من إقرارات أو التزامات، وقد يكون المُقر أمياً لا يكتب، فيعتمد إلى الاستعاضة عن الإمضاء ببصمة إبهامه، يغمسها في المداد ويطبّعها أسفل الوثيقة، وقد يكون لديه خاتم يختم به، أو يكفي بكتابة اسمه بخطه فقط.

ومن الموضوعات التاريخية التي لم يتطرق أحد إلى بحثها في تاريخنا المحلي: دراسة توافيق وأختام شيوخ (الإمارات) منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى قيام الاتحاد، ولدينا في الأرشيف الوطني بأبوظبي ومراكز الأرشفة المحلية الأخرى كمية كبيرة جداً من الوثائق التي تحمل توافيق وأختام الشيوخ، سواء منها السياسية كالمعاهدات والاتفاقيات، أو المتعلقة بالشؤون العامة لكل إمارة، ولعلّ من أقدمها وأهمها من منظور تاريخي "اتفاقية السلام العامة"، التي وقعها حُكام (الإمارات) وشيوخ آل خليفة مع البريطانيين في يناير 1820م، والتي اعتبرت بداية للوقوع تحت الهيمنة البريطانية، وتلتها سلسلة من اتفاقيات الهدنات البحرية انتهت بتوقيع اتفاقية السلام الدائم عام 1853م، واتفاقية المحافظة على التلغراف المار في أرض (الإمارات) عام 1864م، واتفاقية الامتناع عن إيواء بحارة الغوص الهاربين من إمارة إلى أخرى عام 1879م، وكانت آخر وأهم الاتفاقيات في القرن 19 هي الاتفاقية المانعة في عام 1892م، التي أطلقت أيدي البريطانيين في التحكم في

علاقات الإمارات الخارجية، إضافة إلى اتفاقيات خاصة بالامتناع عن جلب الرقيق من شرق إفريقيا، وقُعت في سنوات متفرقة من القرن نفسه، ولا يتسع المقام لسرد المعاهدات والاتفاقيات التي وقعها الشيوخ في القرن العشرين حتى قيام (دولة الإمارات العربية المتحدة) في 2 ديسمبر من عام 1970م.

وتقوم الدراسة المقترحة على جمع توافيق وأختام جميع حكام الإمارات السبع وتوابعها عبر 170 عاماً، وإعطاء نبذة موجزة عن الحاكم ونمط التوقيع والختم الخاص به، وبالطبع لن يتوفر هذا لجميع مَنْ تولوا المشيخة، إذ ليس لبعضهم حضور في الوثائق بسبب قصر مدّة حكمه أو إنابة مندوب عنه في التوقيع أو لأي سبب آخر.

أهدى إليَّ الأستاذ الباحث (فهد علي المعمري) دراسته القيَّمة (الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي)، الصادرة عام 2015م عن (مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث)، وقد لفتت الدراسة نظري إلى موضوع يمثل جانباً مهماً جداً من الحياة الاجتماعية في الماضي، لكنه -مع الأسف- لم يحظَ ببحث شامل مستقل، ذلكم هو موضوع (المقيظ)، كنشاط اجتماعي واقتصادي وتكفي وثقافة سنوي، كانت تشترك فيه كافة قطاعات المجتمع قبل ظهور النفط، وقبل دخول الكهرباء إلى مدن وقرى الدولة.

إن هذا الموضوع متعدد الجوانب وبحاجة إلى باحثين متفرغين يسعون إلى جمع مادته من مصادرها المكتوبة والشفاهية، ولعلَّ من أبرز النقاط التي يمكن أن يغطيها البحث

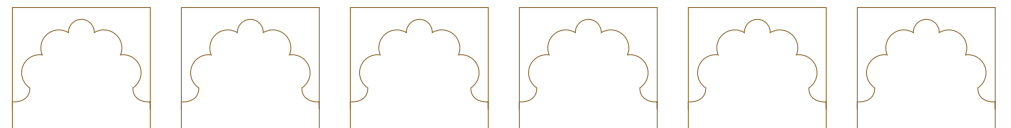
التنوع البيئي في الإمارات (البحري، والصحراوي، والجبلي)، وما نتج عنه من تنوع في الأنشطة الاقتصادية، وتكيف ابن الإمارات مع بيئته الصحراوية الحارة منذ القدم، وفصل القيط (الصيف) والتغيرات المناخية والبيئية المتعلقة به، وتنوع الأنشطة الاقتصادية خلال هذا الفصل (الغوص على اللؤلؤ، وجني محصول الرطب، ورحلة المقيظ)، والمصايف المحلية (البرايح، والواحات، والقرى الزراعية الجبلية) والخارجية (ساحل الباطنة، وبلدات منطقة مسندم، وجزيرة قيس)، والعادات والتقاليد والأعراف المرعية في المقيظ، وتلاشي رحلة المقيظ التقليدية في ظلَّ التغيرات الجذرية التي مرَّ بها مجتمع (الإمارات) ابتداءً من عقد الستينيات، وتجليات المقيظ في الشعر النبطي، وسرد المصطلحات المتعلقة بالمقيظ مع شرحها وإيراد شواهداها في التراث الشعبي من أشعار وأمثال شعبية وأقوال مأثورة.

### أما بالنسبة إلى مصادر البحث فهي تنقسم إلى:

1. مصادر شفاهية: وهي تحتل المركز الأول من حيث الأهمية، فكبار السن الذين عاشوا عقوداً من عمرهم خلال الحقبة قيد الدراسة بإمكانهم أن يزودونا بمعلومات غزيرة عن حياة الناس في فصل القيط، وكثير من جوانب الموضوع الاجتماعية والاقتصادية. وهناك مقابلات أجريت خلال عقد الثمانينيات مع جيل سابق، توفي معظمهم، وخير من قام بهذا الدور الأستاذ الصحفي والباحث (عبد الله عبد الرحمن رحمة)، وقد جمعت مقابلاته في كتاب (الإمارات في ذاكرة أبنائها)، وهو من ثلاثة أجزاء تزداد قيمتها بمرور السنين.
2. مصادر مكتوبة: وهناك الكثير من الدراسات التراثية التي تناولت جانباً أو أكثر من حياة الناس في الماضي، إضافة إلى دواوين شعراء (الإمارات)، وأخص منها ديوان (أشياء من الماضي)، جمع وإعداد (حمد خليفة بو شهاب)، حيث ضمَّ الكثير من المقطوعات الشعرية التي تخدم الموضوع.

# الحياة الثقافية في مجتمع الإمارات قديماً وحديثاً

## الباب الرابع



## 1. مصادر الثقافة المحلية في الإمارات قبل النفط

تشارك إمارات الساحل المتصالح في الخطوط العريضة لتاريخها الثقافي؛ بسبب التشابه الكبير في البيئة الطبيعية، حيث تقع ست منها على ساحل واحد، في حين تشارك إمارتا (الفجيرة والشارقة) في الساحل الشرقي المطل على خليج عمان، وتُشكل (الإمارات) كلها إقليمًا طبيعيًا واحدًا، وتتشابه في أنظمتها السياسية، وأنماطها الاجتماعية والاقتصادية إلى درجة تقرب من التطابق.

ولو رحنا نبحث عن مصادر الثقافة المحلية في (الإمارات) خلال الحقبة التي سبقت ظهور النفط، والتي كانت فيها مهنة الغوص على اللؤلؤ تمثل عماد الاقتصاد المحلي حتى عقد الأربعينيات، واختفت نهائيًا في مطلع الخمسينيات، فسوف نجد أن أهم تلك المصادر

### 1. الدين الإسلامي:

فلقد كانت تعاليم الإسلام هي الموجهة لحياة الناس آنذاك بمختلف جوانبها، وكانت تصوراتهم الكوزموغرافية البسيطة عن الكون -وما فيه من أجرام سماوية وعن العوالم الأخرى- مستقاة من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، نتيجة لسيادة التعليم التقليدي القديم، الذي لم يكن للعلوم الطبيعية فيه نصيب، واستمر هذا الوضع قائمًا حتى دخول التعليم النظامي الحديث ابتداءً من عام 1953م فاتحًا أمام المتعلمين آفاقًا رحبة من المعارف المتنوعة في كافة فروع المعرفة.

### 2. البيئة الطبيعية:

تتنوع البيئات الطبيعية في (الإمارات) ما بين بيئة بحرية، وبيئة صحراوية، وبيئة جبلية زراعية، ولكل منها طبيعتها الخاصة، وقد كانت قلة الموارد وقسوة الطبيعة دافعًا للإنسان للتعرف ببيئته من خلال التجربة والبحث والمغامرة، ومحاولة الاستفادة من

عناصرها في توفير مستلزمات حياته المختلفة، من غذاء، ودواء، ومواد بناء، وأثاث منزلي، وأدوات، ووقود، ووسائل مواصلات... إلخ، إضافة إلى أن الحاجة الماسة إلى التكيف مع البيئة واستغلال إمكانياتها قد نَمَى لدى الإنسان الإماراتي معارف ومعلومات متنوعة تراكمت بمرور الأجيال، وهي تشمل مختلف الشؤون الحياتية، التي من أبرزها ما يتعلق بالطب الشعبي، وبالكائنات الحية البرية والبحرية في البيئة المحلية، وبالقوى الطبيعية المتعلقة بالمناخ والطقس، ومعرفة دورة الفصول، وتوقيت المناسبات الدينية والمواسم المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية: كالغوص على اللؤلؤ، والسفر، والزراعة، وتكاثر الإبل... إلخ.

ولا شك أن التنوع البيئي يُنتج تنوعًا ثقافيًا، ووفرة في المفردات اللغوية، وأنماطًا معيشية متباينة.

### 3. تراث البيئة الاجتماعية المحلية:

يكتسب الفرد من خلال تربيته الأسرية والمدرسية وتفاعله مع أبناء مجتمعه المحلي ومشاركتهم في الأنشطة المختلفة حصيلة كبيرة من الموروث الثقافي الشعبي، الذي يعتبر من أهم مقومات الثقافة الإماراتية التقليدية، وركيزة من ركائز هويتها الوطنية، ويتمحور الموروث الثقافي الشعبي حول: اللهجة المحلية، والأدب الشعبي، والعادات والتقاليد، والقيم الاجتماعية، والمعارف والمعتقدات الشعبية.

### 4. الاحتكاك الحضاري مع الشعوب الأخرى:

أدت البيئة البحرية دورًا مهمًا في توجيه سكان ساحل (الإمارات) إلى خوض عباب البحار طلبًا للرزق، سواء داخل حوض الخليج العربي، أو بلدان حوض المحيط الهندي، بدءًا بسلطنة عمان، ومرورًا بجنوب اليمن، وجزيرة سوقطرة، وشرقي إفريقيا، وانتهاءً بالهند وسيلان.

وقد أدّى هذا الاحتكاك الحضاري إلى اقتباس كثير من نتاج حضارات تلك الأقطار، شمل هذا الاقتباس عناصر من تراثها المادي (طرق بناء، وأساليب صناعة، وأصناف من الأطعمة، وأنواع من الملابس، وطرق علاجية ..) ومن تراثها غير المادي (مفردات لغوية، وفنون شعبية، وعادات وتقاليد، وذوق عام... إلخ)، وبمرور السنين ترسخت تلك العناصر المقتبسة، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من مكونات التراث الثقافي المحلي.

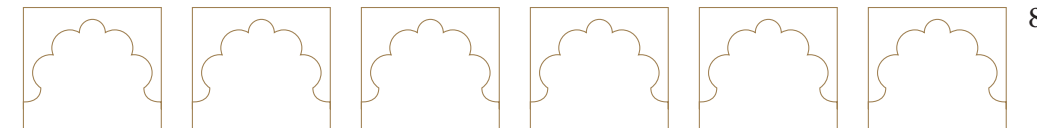
##### 5. الكتب والدوريات:

كانت الفئة القليلة من المتعلمين تسعى إلى الحصول على مواد الثقافة (الكتب والجرائد والمجلات) من الخارج، حيث كان يندر وجود مكتبات تجارية قبل عقد الأربعينيات، ولم تكن هناك مطابع قبل عقد الخمسينيات في (الإمارات)، ولذا فقد كانت المواد القرائية قليلة نسبياً، وكان الغالب عليها العلوم الشرعية (التوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، والسيرة النبوية، والأخلاق، والرقائق)، تليها دواوين الشعر وأسفار الأدب، ثم التاريخ والأنساب، ثم بعض كتب الطب العربي والأدوية المفردة.

إضافة إلى بعض الدوريات ذات التوجه الإسلامي أو القومي التي تصل من مصر والشام والحجاز والعراق، وكانت تصل إلى أيدي القراء متأخرة عن وقت صدورها، نظراً إلى بُعد الأقطار التي تصدر فيها، وبطء وسائل المواصلات القديمة.

##### 6. الراديو:

عُرف المذياع (الراديو) في (الإمارات) منذ أواسط عقد الثلاثينيات، وكان بدائياً كبير الحجم، يستمد طاقته من بطاريات ضخمة، وفي زمن الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م) اقتنى أصحاب السمو الحُكام وعددٌ من الوجهاء والهواة أجهزة راديو كانت تبث أخباراً باللغة العربية من (BBC) القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية.



وكان المذياع حينذاك بمثابة نافذة إعلامية يطلُّ من خلالها المستمعون على شؤون العالم الخارجي، حيث ربطهم بالأحداث الكبرى وأشعرهم بتأثيراتها وتداعياتها، وقد انتشرت عبره ألوانٌ من الثقافة والمعارف والفنون، العربية منها والعالمية. وكان انجذاب المستمعين لهذا الجهاز مثار استنكار من بعض الشخصيات المحافظة والمتزمتة، التي رأت في الراديو آلة لهو تصد عن ذكر الله وعن الصلاة! وقد عبّر عن تلك النظرة أحد الشعراء الشعبيين بقوله

|                                       |                                       |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| أَلْهَاكُمْ الرَادَوُ عَنِ الدِّينِ   | عَنْ طَاعَةِ الْمَوْلَى تُغْفَلُونَ   |
| اللَّهُ يَهْدِيكُمْ يَا السَّلَاطِينَ | مَا نَقْدِرُ أَلَكُمْ لَوْ تَعِيلُونَ |
| حَتَّى أَصْحَابُ الْكِتَابِ لَاهِينَ  | صَكَّوْا كِتَابَهُمْ مَا يُحَدِّثُونَ |

## 2. مُثَقَّفُونَا الْأَوَائِلُ وَمَعَانَاةُ الْحَصُولِ عَلَى الزَادِ الثَّقَافِيِّ

لا نبالغ إذا قلنا: إنه حتى نهاية حقبة اقتصاد الغوص على اللؤلؤ (نهاية عقد الأربعينيات من القرن العشرين) لم تكن نسبة الذين يحسنون القراءة والكتابة والحساب تتجاوز 30% من مجمل الذكور، الذين تنوعت دوافع تعلّمهم لهذه المواد الأساسية، ما بين: تأمين مصدرٍ للرزق، ورفعٍ للمكانة الاجتماعية من خلال الانضمام إلى فئة المتعلمين، وامتلاكٍ لمفاتيح المعرفة سعيًا منهم إلى تلبية طموحهم بإكمال تعليمهم وتخصصهم في العلوم الشرعية، ولعلّ أبرز شرائح المجتمع التي نالت نصيبًا جيدًا من التعليم خلال الحقبة المذكورة هم: الشيوخ وأبناء الأسر الحاكمة، وأبناء التجار والطواویش، وعلماء الدين، والأدباء، والشعراء، والكُتّاب، والمحاسبون، كان المثقفون الأوائل المتعطشون إلى المعرفة يسعون إلى الحصول على مواد الثقافة التي تلبّي حاجتهم (الكتب والدوريات) من الخارج.

### كان الحصول على مواد المعرفة خلال تلك الحقبة يجري عبر ثلاث طرق

رئيسية، وهي:

#### أولاً. جلبها من الخارج:

فقد كان أغلب المطبوعات يُجلب من البلدان التي يتعامل معها أهل (الإمارات) في التجارة، إما بالشراء المباشر من جانب الراغبين، وإما بتوصية معارفهم المسافرين بعناوين مطبوعات بعينها لإحضارها معهم، فكتب العلوم الشرعية غالبًا ما يجلبها الحُجاج القادمون من الأراضي المقدسة، حيث تكثر حوانيت الكُتّيبين في أسواق (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وكانت بلاد الهند -وخاصة مُدن: دلهي، وبومباي، ولُكَنّاو، وحيدر أباد- مصدرًا مهمًا من مصادر كتب الحديث وبقية علوم الدين الإسلامي، وكانت طباعتها حَجَرِيَّة، أما بقية أصناف المعارف والآداب فكانت كتبها

ترد من (البحرين والبصرة ومسقط وعدن وزنجبار وكراتشي وبومباي)، حيث كانت أسواق الكُتّب رائجة في تلك الحواضر التي تُعتبر موانئ شهيرة في الشرق. **ثانيًا. النسخ:**

وهي أقدم وسيلة لتكثير مواد الثقافة، وقد وُجدت مخطوطات دينية قليلة العدد نسبيًا في مكتبات علماء الدين، ثم أخذت تلك المخطوطات في التلاشي تدريجيًا مع تكاثر المطبوعات وتوافرها المُطَرّد، ولم يكن هناك وعي كافٍ بأهمية المخطوطات وضرورة المحافظة عليها آنذاك. وقد دأب الشعراء المحليون نسخ ما يستجد من القصائد النبطية والفصحى في دفاتر طويلة يُطلق عليها (دياوين)، أي: دواوين، وتكون متاحة للاطلاع عليها من جانب رواد مجالس الشعر.

وكانت القصائد غالبًا تُنسخ بطريقة تراكمية دون تصنيفٍ بحسب القوافي أو الأغراض الشعرية، ولم يكن بالإمكان تخصيص ديوانٍ لكل شاعر على حدة، وذلك لأسباب اقتصادية تتعلق بصعوبة شراء عدد من الدفاتر لكونها مُكلّفة.

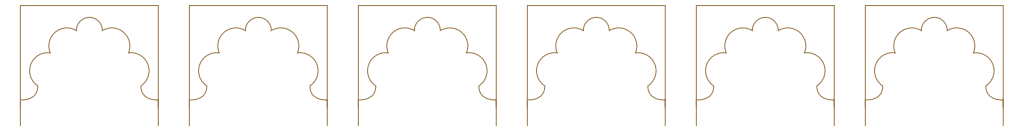
#### ثالثًا. الشراء من المكتبات المحلية:

ظهرت بواكير المكتبات التجارية في (دبي) منذ عقد العشرينيات، ثم اضمحلت لتعاود الظهور خلال عقد الأربعينيات، وكانت تلك المكتبات تبيع الكتب والمجلات وأدوات القرطاسية، وكان بعضها يزود المدارس -شبه النظامية القديمة- بما تحتاج إليه من الكتب التعليمية للمبتدئين، وخاصة من المطبوعات المصرية.

وُجِدت في عموم (الإمارات) العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مكتباتٌ خاصةٌ كثيرة كانت في حوزة الشريعة المتعلمة، كـبعض الحكام المستيرين، وعلماء الدين، وعموم المثقفين والأدباء، وتفاوتت مجموعاتُها من حيث العدد، ومن حيث العلوم والآداب التي كانت محل اهتمام مالكيها، ومن حيث نسبة المخطوطات إلى المطبوعات فيها، وقد تباينت من حيث المصير، فبينما أدرك بعضها قيام الاتحاد محفوظًا في حوزة أبنائهم وذويهم، تبعثر البعض الآخر وتخطفته الأيدي، ونسبةٌ منها كان مصيرها التلفُ نتيجةً عوامل الإهمال وسوء التخزين، أو الإتلاف المتعمد أحيانًا!

ثم ظهرت المكتبات التجارية بشكل واضح في عقد الأربعينيات بدءًا من (إمارة دبي)، تلتها إمارة (الشارقة)، ثم تبعتهما بقية (الإمارات)، ومؤسسو المكتبات الأوائل هم بالدرجة الأولى من علماء الدين وطلبة العلوم الشرعية، وقد شكّلت كتبُ الدين والعلوم الشرعية النسبةَ الكبرى من مجموعات تلك المكتبات، تبعًا لأهمية دور الدين في الحياة العامة للناس، وهذا ما صبغ المكتبات الأولى بالصبغة الدينية، وقد كانت بواكيرُ المكتبات عبارة عن (مكتبات خاصة)، ومقصورة غالبًا على استخدام المالك وأسرته وحكرًا عليهم.

فأضحى من الطبيعي أن تكون استفادة المجتمع المحلي منها استفادةً غير مباشرة، وإنما عن طريق الاقتباس من علم وثقافة مالكيها (فتاوى، مواعظ، وخطب، معلومات عامة، آراء صائبة، نصائح وتوجيهات، سرد قطع أدبية، قصص، وصفات طبية شعبية،... إلخ).



ويمكن تصنيف المواد القرائية التي كانت في حوزة الفئة المتعلمة خلال هذه المرحلة إلى خمسة أصناف رئيسية هي:

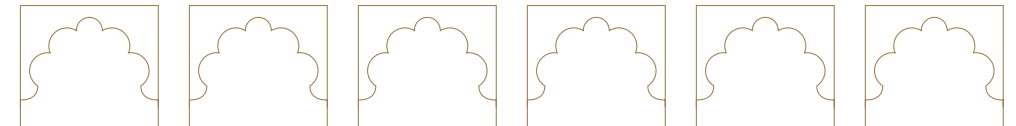
- كتب العلوم الشرعية.
- دواوين الشعر؛ بنوعيه: العربي والنبطي، وأسفار الأدب.
- كتب التاريخ والأنساب.
- كتب الأدوية والعقاقير الطبية (وكلها تقريبًا من التراث العربي القديم).
- الصحف والمجلات، ذات التوجه الإسلامي أو التي تجمع بينه وبين التوجه القومي.

ولو أخذنا أمثلة من مكتبات (دبي) القديمة لوجدنا من أهمها مكتبات كل من: (الشيخ راشد بن مكتوم) حاكم دبي (1886 - 1894م)، ومشايخ العلم: (حسن بن محمد الخزرجي)، و(عبد الرحمن بن حافظ الأنصاري)، و(محمد نور بن سيف المهيري)، و(مبارك بن علي الشامسي)، والقاضي (محمد بن أحمد الشنقيطي)، و(أحمد بن حمد الشيباني)، والشاعر (مبارك بن حمد العقيلي)، والوجيه (علي بن عبد الله العويس)، وغيرهم، ولا يتسع المقام هنا لإعطاء نبذة عن كل من تلك المكتبات.

شكّلت الكتابة منذ ظهورها وسيلة لحفظ البيانات والمعلومات وحمايتها من عوامل التلاشي والاضمحلال الناتجة عن النسيان أو غياب حملة المعلومات، وكانت أنجع وسيلة لتجاوز نطاق الزمان والمكان اللذين يُحدان من انتشار المعلومات الشفاهية في المجتمعات التقليدية.

ولقد أتى على شبه الجزيرة العربية حين من الدهر ساد فيه الجهل والأميّة بحيث كانت الفئة التي تحسن القراءة والكتابة لا تمثل سوى نسبة ضئيلة جداً من مجموع السكان، تتركز في المدن وبعض القرى الزراعية الجبلية، على حين كانت الأميّة تشمل المجتمعات البدوية نظراً إلى طبيعتها البسيطة والمتقلة التي أدت إلى الاستغناء عن التعليم المرتبط في ذهن البدوي بالحضارة، وقد شملت الأميّة فئة الإناث عامة في مختلف البيئات، وإذا كان بعضهن يقرآن القرآن الكريم فهن يفتقرن إلى مهارة الكتابة.

وقد أنتجت تلك الظروف نتائج سلبية فيما يتعلق بالموروث الأدبي الشعبي (الشعر النبطي، والأمثال، والأهازيج، والخراريف، والألغاز، واللهجة الدارجة بمفرداتها وتراكيبها... إلخ)، إذ ظلّ ذلك الموروث يُتناقل شفاهياً من جيل إلى جيل عبر القرون، ويتعرض لمؤثرات ثقافية وحضارية من هنا وهناك تبعاً لحركة الحياة والتفاعل بين الشعوب، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ما وصل إلينا من تراثنا الأدبي -حتى قيام الاتحاد- لا يبلغ عُشر معشار ما أنتجته قرائح السكان خلال القرون الخمسة الأخيرة، التي تُعد حقبة حديثة نسبياً، إذا اعتبرنا أن وصول طلائع الغزو البرتغالي إلى حوض الخليج العربي عام 1507م هو بداية العصر الحديث في هذه المنطقة.



فلقد تحورت اللهجة الدارجة دون ريب، وما وصل إلينا من قصائد الشاعر (ابن ظاهر) ومن بعده (محين الشامسي) فيه دلالة ظاهرة على ذلك التغير الحتمي، وكانت أحداث الحياة وشؤونها حافزاً لشعراء المنطقة -من حَضَر وبدو- على نظم القصائد والمقطّعات المعبرة عن مواقفهم ومشاعرهم وآرائهم وتوجهات قبائلهم تجاهها، لكن نظرة عابرة إلى ما وصلنا من نتاجهم الشعري تجعلنا ندرك مدى ندرة القديم مقارنة بالحديث، فالكثرة الكاثرة من القصائد هي من إنتاج شعراء عاشوا في القرن العشرين، وكلما رجعنا القهقرى تضاءلت نسبة القصائد حتى نقف في مطلع القرن الثامن عشر عند (الماجدي بن ظاهر)، ومعاصره (الشيخ محمد بن صالح المنتفقي) (فقيه وشاعر عراقي استوطن جلفار)، ولا نكاد نعثر فيما وراء عصرهما على شيء.

ولم يكن الأدب القصصي بأنواعه المتعددة: (الحكاية الخرافية، وحكاية المعتقدات، وحكاية التجارب اليومية، والحكايات التاريخية، وقصص الحيوان، والحكايات الهزلية، والقصص الديني) بأحسن حظاً من القصائد القديمة، فلقد تلاشى أكثرها وتقلص عدد رواتها إثر ظهور وسائل الإعلام الحديثة وبرامجها الترفيهية، التي صارت منافساً قوياً لوسائل الترفيه التراثية القديمة التي تعتمد السرد التقليدي، ثم إن القصاصيين أقل عدداً بطبيعة الحال من الشعراء، ولعلّ طبيعة الشعر المنظوم والمقفى بجرسه الموسيقي تعطيه فرصة أكبر للحفظ والتداول من القصص والخراريف، وقس على ذلك بقية ألوان الأدب الشعبي، بل وعموم المعارف الشعبية، وإن الاعتماد الكلي على عملية النقل الشفاهي في توريث الثقافة الأدبية الشعبية للأجيال عبر القرون يجعل من المستحيل وصول الإنتاج الثقافي

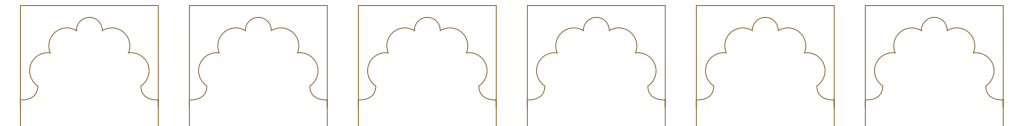
كاملاً للأجيال القادمة المتأخرة زمنياً، وذلك لعدة أسباب منها

- أن الفرصة لا تنهياً لجميع عناصر الموروث الشعبي أن تتناقل بنفس الدرجة، وتعظم المصيبة إذا كانت المرويات نادرة ولا يحفظها إلا فرد واحد أو اثنان، فتموت بموت حفاظها أو مغادرتهم لبيئتهم الاجتماعية الأصلية لأي سبب كان.
- تعرّض المرويات المتناقلة للتحريف نتيجةً للحذف والإضافة العفوية أو المتعمدة، تبعاً للرواة وخصائصهم العقلية والنفسية وتوجهاتهم الثقافية.
- وقديماً قيل: (وما آفة الأخبار إلا رواتها).

- تعرض الرواة للنسيان أو فقدان الذاكرة في الكبر.
- التناقص المطرد للمرويات القديمة، نظراً إلى مزاحمة الإنتاج الأدبي الجديد، واهتمام الرواة بروايتهم، فتتناقص فرصة القديم في النقل والرواية، وهذه ظاهرة ملموسة حتى في عالم البرامج التلفزيونية اليوم.

ولا يخامرني الشك في أن شعراء المدن كانوا يهتمون بتدوين ما يصل إلى أسماعهم من القصائد حفاظاً عليها من الضياع، ورغبة في الاستمتاع بقراءتها وتذوقها، واستكثاراً من الرواية، وإن ما وصل إلينا من قصائد عتيقة؛ ابتداءً من أشعار (الماجيدي بن ظاهر) و(المنتفقي) ومن بعدهما (محين الشامسي)، يعود الفضل فيه إلى المدونين الأوائل.

من الملاحظ أن اللون الأدبي الوحيد الذي حظي باهتمام المدونين عبر القرون الثلاثة المتأخرة هو الشعر النبطي بالدرجة الأولى، يليه الشعر العربي الفصيح، فلقد كان الشعراء الحضر يُمثلون فئة مهمة من المتعلمين الذين يحسنون القراءة



والكتابة، مع تفاوت بينهم في إتقان الكتابة، وكان نصيب الشعر الحضري من التدوين أكبر من نصيب الشعر البدوي الذي ظل يُتناقل شفاهياً حتى بُعيد قيام الاتحاد.

ومن الملاحظ أن قصائد أقدم شعراء (الإمارات)، (ابن ظاهر) قد وصل إلينا منها نحو 14 قصيدة، قام الشاعر الأديب (حمد بو شهاب) والمستشار (إبراهيم بو ملح) بجمعها وشرحها، ثم اعتنى الشاعر البحّاث (سلطان بن بخيت العميمي) مدير أكاديمية الشعر بدراستها دراسة وافية جمعت بين المتعة والفائدة، واكتشف قصائد أخرى له كانت مجهولة، وكان الشيوخ وأعيان (الإمارات) وعموم الأدباء يعدون (ابن ظاهر) باعتباره حكيم (الإمارات)، نظراً إلى ما تضمنته قصائده من حكمة بالغة وتوجيهات حياتية قيمة سارت مسير الركبان، ولذا اتجهت العناية إلى طبع ديوانه مبكراً منذ عام 1963م، في حين ظهرت قصائد الشعراء التاليين له زمنياً مطبوعة في عقد السبعينيات وما بعدها، سواء على شكل دواوين مفردة لكل شاعر على حدة، أو على هيئة مجاميع شعرية تضم مختارات من عيون القصيد، اجتهد جامعوها في انتقاؤها من بين كم هائل من النصوص، بناءً على معايير نقدية معينة، لتكون مرجعاً لمحبّي الشعر النبطي، حيث يصعب على غير الناقد البصير تصنيف النصوص حسب مستوياتها البلاغية، وتمييز جيدها من رديئها، ومن أهم ما ظهر مطبوعاً من تلك المجاميع: ديوان (باقة من الشعر النبطي)، الذي جمعه الشاعر (أحمد بن خليفة الهاملي)، و(تراثا من الشعر الشعبي) جزآن، للشاعر (حمد بن خليفة بو شهاب)، وفي القرن الحالي ظهر ديوان (أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ) 3 أجزاء، وديوان (أشعار قديمة وأبيات يتيمة) جزآن، كلاهما من جمع وإعداد الشاعر (حماد الخاطري)، غير أن الجيل

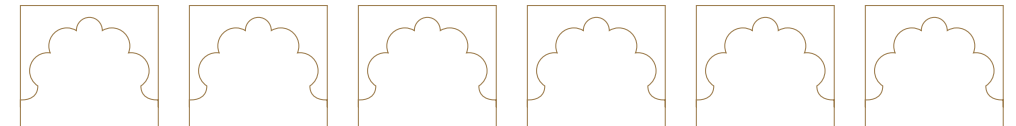
الجديد يجد نفسه بمنأى عن تذوق تلك النصوص العتيقة المتكاثرة، فضلاً عن حفظها، والسبب هو ما ذكرناه في عمود سابق من توالي التغيرات اللغوية المطردة التي طرأت على المجتمع الإماراتي خلال العقود الخمسة المنصرمة، التي انعكست تأثيراتها على الذوق الفني والثقافة اللغوية، إضافة إلى مزاحمة الإنتاج الأدبي العربي والعالمي للشعر النبطي المحلي، إن الذي وصل إلى أيدي الباحثين من مخطوطات الشعر القديمة قليلٌ نسبياً، ويتفاوت حظُّ كل منطقة من المناطق من تلك الحصيلة، وإن مما يؤسف له أن تلك المدونات ظلت عرضةً للتلف نتيجةً لعدد من العوامل الطبيعية والبشرية، ومنها

- **ظروف التخزين غير المناسبة:** فالتخزين في أجواء حارة ورطبة يجعلها فريسةً لحشرة النمل الأبيض التي تسمى محلياً (الرمّة)، ويكون السبب أحياناً عجز المالك عن توفير مكانٍ ملائمٍ صحياً لحفظ مجموعاته، أو قلة وعيه في هذا المجال.

- **الإتلاف المتعمد:** ويعود السبب غالباً إلى استيقاظ الوازع الديني فجأةً عند الشاعر أو المُدون! فينظر إلى الشعر على أنه مادة لهوٍ ولغوٍ أوحى بها الشيطان، ومن ثم فهي بالنسبة إلى من خلفها مصدرٌ دائمٌ للإثم! فيندم على نظمها أو تدوينه وحفظه.

ويروى أن الشاعر الشهير (أحمد بن عبد الرحمن بو سنيده) (ت 1920م) عمد إلى إحراق ديوانه آخر حياته، ولم ينجُ من قصائده سوى ست عشرة قصيدة فقط، كان شعراء آخرون قد دونوها، وبعضها محفوظٌ في الصدور.

وأحياناً يكون الإتلاف من جانب أسرة المُدون بعد وفاته، وقايةً له من العذاب الأليم في الدار الآخرة! ومما يُروى أن إحدى العجائز كان لها ولدٌ من الكُتّاب



الذين كتبوا بالأجرة لتجار اللؤلؤ في إمارة عجمان، وكان ينسخ القصائد الشعبية ويقتني دواوين من نسخها، واشتهر بجمال خطه، فلما توفي عمدة أمه العجوز إلى تلك الدواوين فأحرقتها.

- **التلف غير المتعمد:** ومن أمثلته أن المرحوم (حمد بن سليمان) (والد سلطان الشاعر) فقد مخطوطةً مليئةً بالقصائد حينما غرقت سفينته في خليج عمان) خلال عقد الثلاثينيات.
- **الاختلاس:** من ذلك أن الشاعر (حمد بن خليفة بو شهاب) كان يعمل في مدينة الدمام، وعنده ديوان مخطوط بخط الكاتب (سعيد بو زُبر)، فاستعاره منه -بعد إلحاح- أحد سائقي الشاحنات المترددين بين الدمام والرياض، فكان ذلك آخر عهد بالديوان وبالسائق أيضاً!
- أن تؤل المدونة إلى ورثة لا يعرفون قيمتها، ومن تجاربي الشخصية أنني عثرتُ مرةً على ديوان مخطوط في بيت مهجور، وذلك في أوائل عقد الثمانينيات، فاحتفظت به في مكتبي الخاصة، ثم آثرت إيداعه في قسم المخطوطات بمتحف عجمان.

## 5. مجالس الشعر والأدب في مجتمع الإمارات قديماً

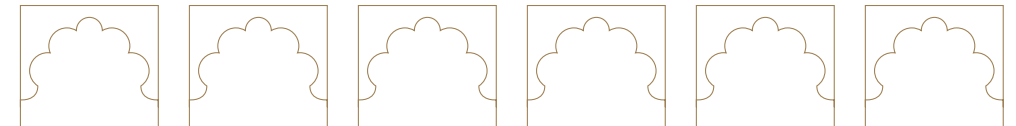
حظي الأدب بنوعيه: المنظوم والمنثور، وسواء كان باللغة العربية الفصحى أم باللهجة العامية، باهتمام واسع من كافة شرائح المجتمع الإماراتي خلال حقبة ما قبل اقتصاد النفط، ولا غرابة في ذلك؛ فالعربي بطبعه ذوّاق للشعر، يلتقط درر المعاني من أبيات رائعة وأمثال سائرة وحكم بالغة؛ ليستشهد بها في حديثه، ويتمثلها في مواقفه، وقد شكّل الشعراء والأدباء شريحة مهمة من النخبة المثقفة حينذاك، فكانت هناك مجالس أدبية يرتادها الشعراء والرواة ومحبو الأدب، ومع كثرة المجالس الاجتماعية المفتوحة في المدن أمام الضيوف كانت مجالس الأدب لها طابعها الخاص بها، ومن أبرز ملامحها

1. أن منشئها هم في الأصل من نفس الفئة (شاعر أو راوية للشعر).

2. التجانس الثقافي والميول الأدبية لدى روادها.

3. تُتداول فيها أحدث القصائد والردود، وغالباً ما تكون قصائد نبطية.

كان هناك اهتمام ملحوظ بتدوين القصائد والمساجلات الشعرية لاقتنائها وللحفاظ عليها من الضياع والنسيان، وكان المدونون هم الشعراء أنفسهم أو الرواة أو الهواة، حيث يبادر البعض إلى تدوين ما يستجد من القصائد في سجل كبير يطلق عليه (ديوان)، فإذا حدث أن جاء أحدهم بقصيدة فيها ردٌّ على القصيدة السابقة سارعوا إلى تدوينها وراء الأولى، وكان المتعلمون من الشعراء يتذوقون الشعر العربي الفصيح، وتمكن البعض من اقتناء دواوين مشاهير رموز الشعر العربي كالمتنبّي، وأبي تمام، والبحتري، إضافة إلى المعلقات السبع، ودواوين كل من (الإمام الشافعي) و(عبد الرحيم البُرعي)، فضلاً على المختارات الشعرية.



وهذا النوع يُقبل عليه من كان ذا باعٍ طويلة في اللغة العربية الفصحى، بحيث يستطيع فهم النصوص الشعرية ومدلولاتها.

وكان الشعراء يحرصون على تدوين قصائد الشعراء العرب الوافدين لمُدح حكام (الإمارات) طلباً للعطاء كما حدث مع شيخ البيان (محمد بن شيخان السالمي العماني) (ت 1927م)، حيث نقلت عنه مدائحه في المرحوم الشيخ (حمدان بن زايد آل نهيان) -حاكم أبوظبي- (1912 - 1922م)، وفي شقيقه الشيخ (سلطان بن زايد) (1922 - 1926م)، وقد نشر المرحوم الشاعر (حمد خليفة بو شهاب) قصائد (لابن شيخان) في ديوان (تراثنا من الشعر الشعبي).

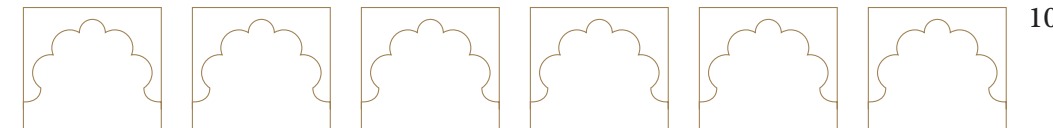
- لم تقتصر مجالس الأدب على قول الشعر وحده، بل تعدتها إلى قراءة كُتب الأدب المجلوبة من الخارج، نظراً إلى عدم وجود مكتبات تجارية في (الإمارات) آنذاك، ومن أشهر تلك الكُتب: (المُسْتَطَرَف من كل فنٍّ مُسْتَطَرَف)، (لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي المصري) (ت 850هـ)، و(جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب)، للسيد (أحمد الهاشمي) (ت 1943م).

إضافة إلى القصص والسير الشعبية، وهي مجموعة من القصص الأسطورية لشخصيات عربية بعضُها جاهلي وبعضُها إسلامي، امتازت بحميد الصفات، كالشجاعة والصبر والكرم والشهامة والتضحية وحب المغامرة، إضافة إلى القصص الغرامية لمشاهير المحبين في التراث العربي القديم، ولعلَّ أبرزها سيرُ كلٍّ من

(عنتر بن شداد العبسي)، و(الزير سالم: أبي ليلى المهلهل غدي بن ربيعة التغلبي)، و(أبي زيد الهلالي سلامة)، ويطلق على سيرته أحياناً "تغريبة بني هلال"، و"رأس الغول"، و(سيف بن ذي يزن الحميري)، و(حمزة البهلوان)، و(الأميرة ذات الهمة). وقد وجدت قصص العجائب والغرائب والمغامرات والفكاهة، وأشهرها كتاب "ألف ليلة وليلة"، و"نوادير جحا"، و"قصص أبي نواس".

### أما الأهداف الرئيسية من اقتناء دواوين الشعر وأسفار الأدب فهي:

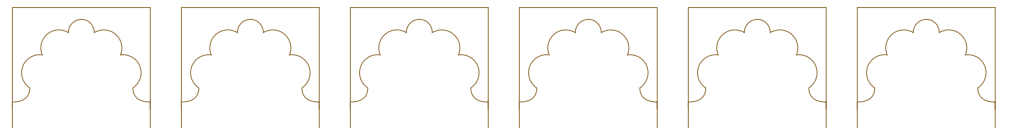
- أ- هدف وجداني عاطفي: الشعور بالمتعة الوجدانية، وتغذية الإحساس بالجمال، ودغدغة العواطف المكبوتة في مجتمعٍ محافظ.
- ب- هدف تثقيفي: اكتسابُ البلاغة، وتخصيبُ القريحة، وإغناء التجارب الحياتية.
- ج- هدف تهنديبي: اكتسابُ القيم الأخلاقية الحميدة، وتعزيزُ ما هو موجودٌ منها أصلاً في شخصية القارئ، سواءً من خلال قراءة وحفظ أشعار الحكم والرفائق، أو من مطالعة سير أبطال القصص الواقعية والأسطورية والتفاعل معها.
- د- هدف ترفيهي: التسلية والترويح عن النفس.



وإذا كانت مجالس الشعر في المدن الرئيسية قد مرّت بفترة من الذبول خلال عقد الخمسينيات نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من القوى العاملة الإماراتية إلى الأقطار الخليجية الناهضة بحثاً عن عمل؛ فإنها ما لبثت أن ظهرت في ثوب جديد بعد قيام الاتحاد وتبني وزارة الإعلام والثقافة حينذاك للمواهب الأدبية وتشجيعها، وظهور مجلس شعراء (الإمارات) في تلفزيون (دبي) مطلع عقد السبعينيات.

# الأدب الشعبي واللهجة المحلية

## الباب الخامس



## 1. دبي وشيوخها في قصيد الشاعر راشد الخضر

يُعد الشاعر (راشد بن سالم الخضر السويدي) (1905 - 1980م) كوكبًا لامعًا في سماء الشعر بالإمارات، حيث اشتهر كشاعر فذ نظرًا لجودة قريحته، وعذوبة تعابيره، وغنى قاموسه بالمفردات، إضافة إلى جزالة ألفاظه، ودقة تصويره، وقوة سبكه، ورقى أسلوبه الشعري، وروعة اقتباسه من القرآن الكريم. وتتنوع قصائده بين النبطية والفصحى، وغلب عليه طُروق غرضين رئيسيين في قصائده، هما: الغزل والمديح.

وقد وجه الخضر تهنئة إلى الشيخ (راشد بن سعيد آل مكتوم) طيب الله ثراه ، عام 1949م، حينما كان وليَّ العهد لـ (إمارة دبي)، يهنئه فيها بأداء فريضة الحج، وهي باللغة العربية الفصحى، وجاء فيها :

من ذا يفاخر حرًا لا مثيل له  
من طبعه الجود والإقدام والأدبا  
قد عظموا الله إذ حجّوا وإذ نحروا  
وكبر الدهر مع تكبيرهم طربًا

ووجه إلى المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم ، طيب الله ثراه ، قصيدة نبطية مربوعة بدأها بذكر مدينة دبي ومكانتها وجاء في القصيدة :

إذا هبيت يا سيد الشُّراتِ  
تبهنس بالبسيس وبالشُّراتِ  
إلى دار الوصل تجري سفنًا  
دبي اللي بها ترِفّ انشُراتِ  
شُرات دبي مُول بلاد ما شي  
ولو صارت فلك في البحر ما شي

وحينما افتتح نفق الشندغة عام 1975م أشاد الشعراء بهذا المشروع العظيم وبالشيخ (راشد) صاحب المشروع، وكان (الخضر) ممن أشاد به في قصيدة مطلعها

دبي نالت كل مقصود  
واتبخترت ف أعلى الميادين  
شكل النفق ما صار موجود  
من ديرة النمسا إلى الصين  
مصنوع بدع ومشرف يرود  
ومهندسينه م الفراعين

## 2. الشاعر (ابن شيخان السالمي) في دبي

يُعد الشاعر العماني (محمد بن شيخان السالمي) (1868 - 1927م) أحد أشهر شعراء الخليج العربي خلال الربع الأول من القرن العشرين، ولذلك يلقب بشيخ البيان، واشتهر بمدائحه الجزيلة التي تبدأ عادة بمقدمة غزلية على عادة شعراء العرب القدامى، وقد شملت مدائحه إضافة إلى سلاطين عُمان، غالبية حكام الخليج العربي، وكلاً من شريف مكة والسلطان العثماني. ومن بين إمارات الساحل نالت إمارة (دبي) نصيب الأسد من مدائحه لحكامها وأعيانها، فقد زارها أول مرة في عهد حاكمها الشيخ (بطي بن سهيل) (1906 - 1912م)، ومدحه بقصيدة مربوعة مطلعها:

(بدا غزالاً كالقمر نَهَى القلوب وأمر)

وقصيدة مدح فيها الشيخ سعيد بن بطي آل مكتوم وهي:

(أفديه من يوسف الحسن ممتشط)

ثم زار ابن شيخان دبي في عهد الشيخ سعيد بن مكتوم (1912 - 1958م) ومدحه بقصيدة مطلعها

(إذا هبت رياح من دبي تمايلنا سكارى لا بخمر)

وزار أخاه الشيخ جمعة بن مكتوم ومدحه بقصيدة لامية مطلعها:

(تسيل دموع العين بين المنازل وترمي الحشا كف الهوى بالمشاعل)

أيضاً مدح الشيخ مانع بن راشد آل مكتوم بقصيدة عينية أولها:

(ديار لربات الحجال مطالع على جانبها تُستهل المدامع)

ونال تجار اللؤلؤ الكبار نصيباً من مدائحه، فقد مدح كلاً من الوجهاء:

- الشيخ محمد بن أحمد بن دلو، بقصيدة مطلعها:

(خذوا لي الدوا من ريقها البارد الندي ففيه شفاء القلب للهائم الصدي)

- الوجيه محمد بن بيات الفلاسي بقصيدة مطلعها:

(قولا لذات الحسن والحسنات تُغمد سيوف الغنج واللحظات)

- الوجيه سالم بن مصبح بن حمودة السويدي، بقصيدة مطلعها:

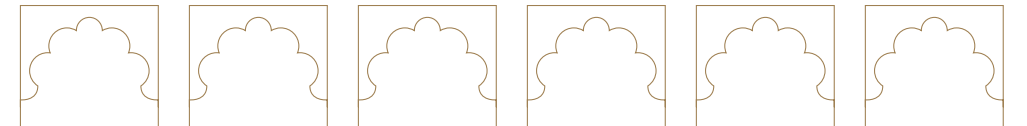
(لولا الظباء الخرد والكاعبات النهد)

### 3. حول انقراض الأهازيج الشعبية

مصطلح (أهازيج)، ومفردتها (أهزوجة)، لم يكن مستخدماً في اللهجة المحلية الدارجة، رغم وجود أصل له في اللغة العربية الفصحى (الهزج: غناء، كلُّ صوت فيه ترنُّمٌ خفيف مُطرب)، ولكن اصطُلح عليه من جانب دارسي التراث المُحدثين، وهو يحمل نفس الدلالة السابقة في الفصحى : أناشيد أو أغاني خفيفة مطربة، وتؤدَّى الأهازيجُ بشكل فردي أو بمصاحبة المجموعة، ومن أمثلتها في التراث الإماراتي:

- المَهَاوَاة على الطفل من جانب أمه لتتويمه.
- النهمات البحرية أثناء الخطيفة والرفية والتجديف، وأثناء الصيد، ثم عند رفع السفينة من البحر أو إعادتها إلى البحر بعد الانتهاء من صيانتها.
- حداء البدوي على ناقته، وغناء الراعي وراء قطيعه، وغناء الجازر على ثوره في الحقل.
- غناء المروِّي (السَّقَاء) أثناء سحبه الماء من البئر، وغناء دَقَّاقِي الحَبِّ في المنحاز الخشبي الكبير، وغناء المرأة عند الطحن باستخدام الرحي الحجرية، وغناء الأطفال عند هطول المطر.

وإلى جانب القيمة الأدبية لتلك الأهازيج، لها وظيفة نفسية مهمة في حياة الناس قديماً، المنشدين منهم والمستمعين، فهي وسيلة للترويح عن النفس من ضغوط الحياة، ولإثارة الحماس أثناء تأدية الأعمال الشاقة، وهي أيضاً تعبر عن البهجة والغبطة بنعم الله تعالى، وعن التفاؤل بالحصول على الرزق الوفير، وفي بعضها دفقٌ من الحنان والعواطف الجياشة والشوق تجاه الأبناء والأسرة، أو تجاه الأحبة بشكل عام.



غير أن فن الأهازيج بأنواعه المختلفة قد اضمحل وتلاشى من أدبنا الشعبي خلال العقود الأربعة الأخيرة، ولم نعد نسمعه إلا في اللوحات الغنائية للأطفال التي تُعرَض بين الفينة والأخرى على شاشات التلفاز، والتي لا تعدو أن تكون لوناً واحداً من ألوان الأهازيج المتنوعة بتنوع ميادين الحياة.

ولو رحنا نبحث عن أسباب تلاشي هذا الفن الشعبي الجميل لوجدنا أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية تكمن وراءه، وهي

#### 1. اختفاء الأنشطة التقليدية التي كانت تؤدَّى فيها الأهازيج:

فلقد أدَّى انقراض حرفة الغوص على اللؤلؤ مثلاً، وتفرُّق بحارة سفن الغوص وهجرتهم إلى بلدان الخليج الأخرى خلال عقد الخمسينيات طلباً للرزق إلى تناسي تلك الأهازيج التي كانوا يترنمون بها خلال عملهم الشاق السابق. ثم إن تبدل نمط الحياة في البادية، وتحول المضارب القديمة إلى قرى عصرية، واختفاء رحلات القوافل عبر الصحراء بعد ظهور المواصلات الحديثة، والاستغناء عن كثير من الأنشطة القديمة أدَّى إلى اضمحلال الأدب الشعبي المرتبط بها والمتمثل في الحداء والأغاني والتغريد.

#### 2. حلول العمالة الآسيوية الوافدة محل العمالة المواطنة:

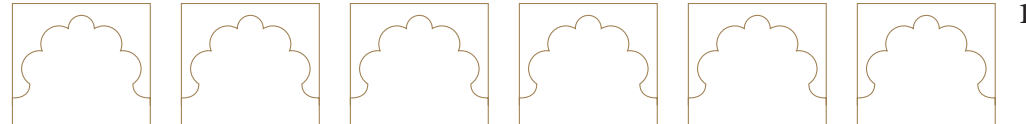
فقد حلت تلك العمالة منذ أربعة عقود على الأقل محل العنصر المواطن في عمليات الصيد البحري، ورعاية الثروة الحيوانية، وأعمال الزراعة، إضافة إلى الأعمال المنزلية، وليس من المنتظر أن يردّد هؤلاء العاملون أهازيجنا الشعبية العتيقة للترويح عن أنفسهم أو إثارة الحماس فيما بينهم أثناء العمل!



### 3. عامل التحول اللغوي في اللهجة الإماراتية:

فخلال العقود الخمسة الماضية حصلت تحولات ملحوظة في اللهجة المحلية من حيث: المفردات والتراكيب والتعابير، وهذا أدى إلى غموض معاني نسبة كبيرة من مفردات النصوص الأدبية وتبدل دلالات العديد منها، فنبت عنها ذائقة الجيل الجديد الذي يميل إلى سماع وتذوق المعاني الواضحة السهلة الاستيعاب، والمعبرة عن الحياة العصرية.

ربما تكون الوظيفة الوحيدة التي بقيت لتلك الأهازيج اليوم هي وظيفتها الإنثروبولوجية؛ إذ عرفنا من خلالها جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في مجتمع (الإمارات) خلال الحقبة التي سبقت ظهور النفط.



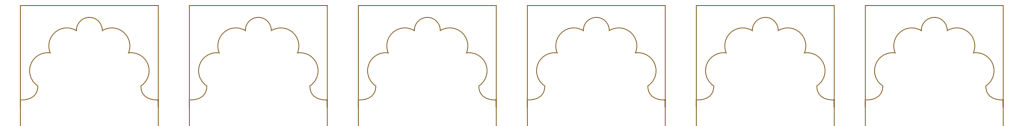
#### 4. الحاجة إلى موسوعة شاملة لأمثالنا الشعبية

تشكل الأمثال الشعبية جزءاً لا يتجزأ من التراث الأدبي الإماراتي العريق، التي صاغتها الأجيال المتعاقبة، وتمثلت بها في مختلف المناسبات والمواقف الحياتية، ويطلق على مخترع المثل اسم (المتوصف)، فإذا أرادوا الاستشهاد بمثل معين قالوا: (يقول المتوصف: كذا وكذا).

ولعلّ مما ساعد على انتشار الأمثال الشعبية كونها قيلت باللهجة الدارجة التي يفهمها الجميع، وتتميز الأمثال بأنها تعكس مختلف جوانب البيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويمكن أن نستجلي من خلالها القيم الأخلاقية والاتجاهات النفسية الاجتماعية لدى الشعب نظراً إلى ما تتضمنه الأمثال من حكم أو مواظم وتوجيهات تربية، فهي مستخلصة من التجارب الحياتية التي مرّت بها الأجيال السابقة، إضافة إلى تميزها بالإيجاز البليغ، فهي تعتبر مما قل ودل، ويغلب على الأمثال روح الفكاهة والخفة والظرف.

وفي إطار عملية التوثيق لكثير من جوانب تراثنا الشعبي منذ مطلع عقد الثمانينيات ظهرت عدة مؤلفات حول الأمثال الشعبية في (دولة الإمارات) لعدد من المؤلفين نذكر منهم

الأستاذ (عبيد راشد بن صندل)، و(إبراهيم راشد الصباغ)، و(نجيب عبد الله الشامسي)، و(خميس إسماعيل المطروشي)، إضافة إلى مجموعة قيمة من الأمثال أوردتها الشيخ الوزير (محمد بن أحمد الخزرجي) في كتابه (العادات والتقاليد في دولة الإمارات)، وبعض تلك المؤلفات تجمع بين الأمثال والأغاز، وتمزج بين المثل والحكمة والقول المأثور دون تمييز.



ومع تقديرنا وشكرنا لكل مؤلف بذل جهده في سبيل تدوين جانب من تراثنا الشعبي وصونه من الاندثار وتعريف القراء به؛ يمكن القول: إن ما لم يدون من الأمثال لا يقل في عدده عما سبق.

تدوينه إن لم يكن أكثر منه، والسبب في ذلك هو:

- تركيز المؤلفين السابقين في الأمثال الشائعة في المدن الساحلية، التي نالت نصيب الأسد من التدوين بحكم كون المؤلفين هم من أبناء المدن والمحسوبين على البيئة البحرية.

مع أن للبادية والقرى الجبلية الزراعية -وهي البيئة الداخلية للإمارات- رصيدها أيضاً من الأمثال المعبرة عن معطيات تلك البيئات، وكثيراً من أمثالها ما زالت تُداول ولم تجد سبيلها إلى التدوين بعد.

- التكرار في الأمثال بحيث يعتمد المؤلف إلى إفراغ ما كتبه السابقون في مؤلفه الجديد، وربما لا يزيد عليها إلا القليل من الأمثال الجديدة التي اجتهد في البحث عنها.

إن مكتبتنا التراثية بحاجة ماسة إلى تأليف موسوعة شاملة للأمثال الشعبية تتميز بما يلي

1. الشمولية: بحيث تحوي كافة الأمثال الشعبية المحفوظة في صدور الناس قدر المستطاع.

2. التوازن: بحيث تغطي أمثال البيئات المختلفة (البحرية والصحراوية والجبلية) بتوازن، دون غمط حق أي منها من التدوين.



3. الشرح والإيضاح : نظراً إلى التغير الكبير الذي طرأ على لهجتنا المحلية عبر العقود الخمسة الأخيرة من جراء عوامل ثقافية واجتماعية متنوعة، وهذا ما يجعل فهم بعض الأمثال ومعرفة دلالتها عسير المنال لدى شريحة الشباب الذي يعتمد ما يسمى باللغة البيضاء في تعاملاته اليومية.

وتلي مرحلة الجمع والتبويب مرحلة الدراسة الأدبية واللغوية والإنثروبولوجية والنفسية الاجتماعية لتلك الحصيصة الغزيرة من الأمثال، وهذا ما يساعد على فهم أعمق للقيم الأخلاقية والتربوية والاتجاهات النفسية الاجتماعية التي تعبر عنها تلك الأمثال.

إن مشروعاً كهذا يحتاج إلى جهد مُضنٍ من البحث والتقصي والتدوين، قد يستغرق عقداً أو أكثر من العمل، ويُفترض في الباحث أن يكون متضلّعاً من اللهجة المحلية، وذا باع طويلة في التراث الشعبي، وخصوصاً في الأدب الشعبي؛ كي تسعفه قدرته اللغوية وذائقته الأدبية في فهم الأمثال وكتابتها بشكل صحيح تفادياً للتشويه الناتج عن سوء الفهم أو القصور في اللغة الدارجة.

## 5. تحولات اللهجة المحلية في الإمارات

يوم آشروها ما اقفضوا لها اليرة سوت بحر وتقاوموا يزواها

وين مهزوبج وين ذيج الزرة والمطلعي لي ما ترس شرتها

هذان بيتان من الشعر النبطي الإماراتي العتيق، أرجو أن يقرأهما القارئ الكريم، ويحاول تفهم معناه، إنهما مجرد نموذج من بين آلاف النماذج الأدبية التي تُشعرنا نحن أبناء الجيل الحالي بالبون البعيد بين لهجة أجدادنا في مطلع القرن العشرين ولهجتنا (البيضاء) الحديثة.

يُعد التطور في مجال اللغات واللهجات المتفرعة منها إحدى الظواهر الثقافية الإنسانية العامة، وهو أمر حتمي لا مفر منه، ذلك أن اللغة هي وعاء الفكر، وهي تتأثر بكل ما يطرأ على المجتمع الذي تنتشر فيه من تغيرات لا تنتهي، ويمكن تشبيهها بالجسد الذي تتجدد خلاياه عبر السنين فتموت خلايا لتنشأ مكانها خلايا جديدة، وإذ أتيح للغة ما الانتشار على مساحة واسعة واتخذتها شعوب متعددة لغة لها؛ فإن التباعد بين مواطن السكنى يؤدي إلى تشعب اللغة الأم إلى لهجات محلية تأخذ في التباعد تدريجياً وتتمايز فيما بينها، مثلما حدث مع اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية، وقد ظلت اللهجات العامية في داخل شبه الجزيرة العربية قريبة من اللغة الأم (العربية الفصحى) في مفرداتها وتراكيبها اللغوية، ومنها اللهجة الإماراتية القديمة، ومن يقرأ قصائد الشاعرين (الماجدي بن ظاهر) (أواخر القرن 71 وأوائل 81م) و(محين الشامسي) (أواخر القرن 81 وأوائل 91م) يدرك كم هي قريبة من الفصحى.

ومع أن كل جيل لا يمكن أن يرث الحصيلة اللغوية بحذافيرها عن الجيل السابق له، وإنما يرث القسم الأكبر منها، مستغنياً عن نسبة صغيرة منها؛ إما لحلول مترادفات وتعابير بديلة، أو لعدم وجود فرص لتلقيها، أو لتحول الذوق العام عنها، ويضيف إليها ما يستجد في عصره تبعاً للظروف والمتغيرات والطبيعة البشرية، فلهجتنا المحلية ظلت إلى حد بعيد بمنأى عن التغير الجذري ما بقيت الحياة التقليدية سائدة، وخاصة في البوادي والقرى الداخلية والواحات التي كان سكانها قليلي الاختلاط بغير العرب، وأكثر محافظة على نمط المعيشة التقليدي المتوارث، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن! حيث شهد القرن العشرون نقلة نوعية وتغيراً اجتماعياً هائلاً لم تشهد (الإمارات) وبقية دول الخليج مثله خلال القرون الخالية من حيث المدى، ومن حيث السرعة وتعدد الأوجه، بحيث شمل مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ، فكان من المحتم أن يترك بصمته الغائرة على لهجتنا المحلية، بحيث أصبح البون بعيداً بين لهجة الجيل الذي عاش في مطلع القرن والجيل الذي أدرك أواخره، حيث بات التغير ملحوظاً من جانب الأجيال المتتابة، فالجد ينكر على أحفاده ما يسمعه منهم من كلمات وتعابير مجازية غريبة لم يسمع بها من قبل، ولا يستسيغها ذوقه، اقتبسوها من مصادر متنوعة، وخصوصاً من المسلسلات والأفلام، أو من أقرانهم في المدارس، لكنها بالنسبة إليهم مقبولة ومتعارفة، فمصادر الثقافة اللغوية بين الجيلين مختلفة اختلافاً جذرياً، وهي آخذة في التغير والتجدد دون توقف.

سوف نتناول أهم العوامل التي عملت على إحداث تلك التغيرات الجذرية في لهجتنا العامية خلال القرن العشرين المنصرم.

سنتناول فيما يلي أبرز العوامل التي عملت خلال القرن العشرين المنصرم على إحداث تلك النقلة الكبيرة في لهجتنا العامية، وأدت إلى اتساع الهوة اللغوية بين جيل الأجداد وجيل الأحفاد.

#### 1. اختفاء الأنشطة الاقتصادية التقليدية:

المتثلة في الغوص على اللؤلؤ والصيد البحري التقليدي لدى سكان السواحل، والنُّجعة في طلب الماء والكلاً، والغزو والنقل البري بواسطة الإبل والرعي، و"المكدة" لدى أبناء البادية، وكذلك الحال بالنسبة إلى أنشطة سكان الحيور (القرى الزراعية الجبلية) والواحات. واختفت بذلك آلاف المفردات المتعلقة بتلك الأنشطة، وإن بقيت مدلولاتها معروفة لدى جيل الأجداد حتى توفاهم الله، ولم يكن لدى جيل الأبناء والأحفاد الدافع لحفظ أغلب تلك المفردات وفهم معانيها.

#### 2. الهجرة الواسعة إلى الأقطار الخليجية الناهضة بحثاً عن فرص

##### عمل:

فقد أدى ظهور النفط في كلٍّ من السعودية والكويت والبحرين إلى قيام تلك الأقطار بحركة تنمية شاملة استقطبت آلاف الأيدي العاملة من (الإمارات) و(عمان) والجنوب العربي؛ للعمل في شركات البترول والمقاولات والمواني وغيرها، وتزامنت تلك النهضة مع آخر مراحل اختفاء حرفة الغوص على اللؤلؤ وما صاحبها من بطالة وتدهور في الأوضاع الاقتصادية، فكانت الهجرة بحثاً عن عمل هي البديل لآلاف القوى العاملة غير الماهرة، وقد أدى التعايش مع أبناء تلك الأقطار من ناحية، ومع أبناء الجاليات العربية فيها من ناحية ثانية، ومع الخبراء القائمين على تنفيذ المشاريع التنموية من ناحية ثالثة، والتعود لأساليب حياتية مختلفة نوعاً ما، إلى اكتساب مفردات ومصطلحات كثيرة تتعلق بالحياة الحديثة من آلات وتكنولوجيا وعقود عمل ووسائل النقل، إضافة إلى بعض العادات والتقاليد المقتبسة... إلخ.

#### 3. دخول التعليم النظامي الحديث:

أدت إمارة (الشارقة) دور الريادة بين إمارات الساحل في سعيها إلى إدخال التعليم الحديث بمعونة من (دولة الكويت) ابتداءً من عام 1359م، ثم تبعتها بقية الإمارات، ولم يأت عام 1691م إلا كان التعليم النظامي الحديث قد عمَّ جميع الإمارات، في حين أخذ النظام التعليمي التقليدي المتمثل في الكتاتيب والمدارس شبه النظامية في التلاشي والاضمحلال تدريجياً، حتى اختفى خلال مطلع عقد السبعينيات.

ولأن لغة التعليم هي العربية الفصحى فقد أخذ الجيل المتعلم يتعامل بالألفاظ والتراكيب والقواعد العربية الفصيحة بشكل متزايد، وهو ما أدى إلى مدِّ جسور التفاهم بين (الإمارات) وبقية أقطار العالم العربي بكل سهولة ويسر، ومهدَّ سبل الثقافة أمام الشريحة المتعلمة لتتصل من مَعين المعرفة الزاخر.

#### 4. دخول الخدمات المدنية وتبني الحكومات المحلية للأنظمة الإدارية

##### الحديثة:

تجلى ذلك في إدخال الخدمات الصحية، وإنشاء البلديات، والمحاكم، وفتح فروع للبنوك، ودخول خدمات الكهرباء والماء والاتصالات... إلخ، واتجاه الكثير من المواطنين نحو العمل في التجارة والاستيراد والتصدير، وخاصة في إمارة (دبي)، واستتبع تلك التطورات وصول أفواج من مواطني البلاد العربية، وخاصة من أبناء فلسطين ومصر والعراق؛ للعمل في مجال التدريس والتطبيب والأعمال البنكية والهندسية والسلك القضائي... إلخ، منذ عقد الخمسينيات، سداً للنقص في الكوادر الوطنية المؤهلة، وأدى اختلاطهم بالمواطنين إلى تأثر كل منهم بلهجة الآخر، وظهر تأثر اللهجة المحلية بلهجات البلدان العربية بشكل واضح بعد قيام الاتحاد.

## 5. انتشار وسائل الإعلام الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي؛

وقد أتاحت للجمهور التواصل مع شعوب العالم والتعرف بقضاياها، ووصلت عبرها معارف وتيارات فكرية وثقافات شتى كان لها آثارها الإيجابية المثمرة إلى جانب نتائجها السلبية المدمرة أحياناً، وانعكس كل ذلك على الثقافة اللغوية لدى الشريحة المثقفة، وتجلّى ذلك في التحدث بلغة غنية أقرب إلى الفصحى لكونها أقدّر على التعبير عن الفكر ومتطلبات الحياة الحديثة، إضافة إلى اللغة الإنجليزية التي غدت لغة المال والأعمال.

## 6. العمالة الآسيوية الوافدة؛

مع بؤار ظهور النفط والانتعاش الاقتصادي المتنامي في عقد الستينيات أخذت تزد إلى منطقة الخليج عمومًا و(الإمارات) خصوصًا أفواج كبيرة من الآسيويين القادمين من شبه القارة الهندية ومن إيران بحثًا عن فرص عمل، وقد تأثرت اللهجة المحلية تأثرًا كبيرًا بسبب التعامل اليومي معهم بلغة هجينة مطعّمة بلغة الأوردو، سعيًا إلى إنجاز المصالح المتعلقة بهم، وهذا ما أثر سلبيًا في تراكيب الجمل العربية، ودخول مفردات من لغاتهم إلى لهجتنا.

## 7. سيادة التعليم باللغة الإنجليزية؛

خلال العقود الأخيرة أصبح هناك اتجاه قوي لدى مواطني الدولة نحو تفضيل المدارس الخاصة التي تعتمد الإنجليزية لغةً للتعليم -باعتبارها لغة العلوم العالمية، التي يسهل التفاهم بها في مختلف أنحاء العالم، وتحتاج إليها سوق العمل-، وهذا أدّى إلى نشوء جيل جديد لا يحسن التحدث بلغته الوطنية، بل يخلط بين اللغتين في حديثه، ويجد أن التحدث بالإنجليزية أسرّ عليه نظرًا إلى اعتياده لها في المدرسة أو من خلال المربيات الأجنبيات، وبعضهم إذا تسرّع عليه إيجاد مفردة محلية اعتاض عنها بمفردة أو جملة إنجليزية، فهي أكثر حضورًا في ذهنه وأسهل استدعاءً!

إنها ظاهرة أصبحت مستعصية على العلاج، تحطمت على صخرتها كثيرٌ من الجهود المخلصة الساعية إلى استعادة الدور الريادي للغتنا الأم، سواء العربية الفصحى أو اللهجة المحلية التي تعتبر جزءًا لا يتجزأ من مقومات الهوية الإماراتية الأصيلة.

هناك نقطة مهمة لا بد من الإشارة إليها تتعلق بأثر التغيرات اللغوية الكبيرة التي أصابت لهجتنا الإماراتية في تراثنا الشعبي، الذي نعتز به ونفخرُ باعتباره أحد الأعمدة المهمة التي تقوم عليها الهوية الوطنية، ذلك لأن هذا التراث؛ وبالأخص الجانب الأدبي منه، قيل باللهجة المحلية الدارجة، وهو يعكس لنا التطور الذي طرأ عليها عبر السنين منذ عهد (الماجدي بن ظاهر) حتى يومنا هذا، ولا شك أن الأدب الشعبي الذي أنتجته القرائح خلال الحقبة التي سبقت ظهور النفط، وهو كم كبير لا يُستهان به، قد أصبح مهددًا اليوم بتحوّله في نظر أبنائنا إلى نصوص غامضة المعاني بسبب شيوع المفردات والتعابير القديمة فيها، المعبرة عن شؤون وشجون المجتمع التقليدي، ولذا فإن هذا الأدب يواجه عزوفًا من جانب القراء القليلي الحصيلة اللغوية وغير المتمرسين بالتراث الشعبي من خلال مخالطة كبار السن والاستفادة من مروياتهم في التعرف بمجريات الحياة في مجتمع (الإمارات) قديمًا، فالنفس البشرية بطبيعتها تميل إلى السهل اليسير، وتعرض عن الصعب العسير، فرغم حركة النشر الواسعة لدواوين شعرائنا القدامى أو مجاميع المختارات الشعرية، وتحويل كثير من القصائد إلى أغاني غناها مطربون محليون، افتقار تلك الدواوين والمجاميع إلى الشروح والاكتفاء أحيانًا بشرح مفردات محدودة، يجعل المشكلة قائمة، وقس على ذلك الأهاليج والأمثال والخرافيف وغيرها من ألوان الأدب الشعبي الجميل التي لم تعد متداولة لأسباب متنوعة لا مجال لذكرها هنا.

وقد ظهرت منذ عقد الثمانينيات محاولات لتأليف معاجم لغوية خاصة باللهجة العامية تخدم الباحثين وتحفظ ما يمكن تداركه من مفردات، فظهر كتاب (معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة) للدكتور (فالح حنظل)، ثم صدر له معجم بحري متخصص هو (معجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي)، وقد صدر أخيراً عن أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في (أبوظبي) معجم (الرمسة الإماراتية)، الذي يحوي نحو 0051 كلمة إماراتية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية، يحتاج إليها غير الناطقين باللغة العربية ليتحدثوا اللهجة الإماراتية، ويُعد المعجم الأول من نوعه المعتمد أكاديمياً والمتخصص، وشارك في إعداده: (حنان الفردان)، المدير العام لمعهد «الرمسة» لتعليم اللهجة الإماراتية، والأستاذ (عبد الله الكعبي).

ومع تقديرنا لكل جهد مبذول في خدمة تراثنا الإماراتي الأصيل ولهجتنا المحلية يظل المطلوب أكبر من ذلك بكثير، ذلك لأن كل شأن من شؤون الحياة التقليدية يحتاج منا إلى تأليف معجم خاص به، وهذا يتطلب جهداً جباراً ربما لا يعرفه إلا من كابد تأليف المعاجم، وينبغي أن ندرك أننا في سباق مع الزمن، فالمفردات القديمة تراث شفاهي قابل للتلاشي بموت حُفَاطه، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

## 6. مفردات عالم الكتب والكتابة في اللهجة الإماراتية قديماً

رغم صغر الشريحة المتعلمة والمثقفة التي كانت تتعامل مع مواد الثقافة في مجتمع (الإمارات) خلال حقبة ما قبل النفط، كانت اللهجة العامية حينذاك تضمُّ في قاموسها غير المكتوب مفرداتٍ تتناول عالم الكتب والكتابة، وهي جديرة بالجمع والالتقاط وتعريف المهتمين بالبحث في التاريخ الثقافي للإمارات بها، وسأحاول في هذا المقام تعريف القراء الكرام بما تمكنتُ من جمعه

1. قرطاس: كان عامة الناس يطلقون على الورق كلمة (قرطاس)، وجمعها (قراطيس)، وهي من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، وقد وردت اللفظة بصيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، سورة الأنعام - الآية (7)، وبصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ قِرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، سورة الأنعام - الآية (19).

ومن الأبيات العامية التي تُتشد في فن الأهالة:

خَدَّ الْخَضِرُ صَا فِي شَرَى الْقِرْطَاسِ      غَالِي ثَمَنَ وَالنَّاسِ بَايَشِرُونَهُ

2. ورق: كان يُقصد بها على الأغلب ورقُ الشجر، لكن معناها كمرادف لكلمة (قرطاس) أخذ يشيع تدريجياً مع انتشار التعليم في المجتمع، ابتداءً من عقد الخمسينيات، ثم ما لبثت كلمة (ورق) أن حلت محل كلمة (قراطيس) تدريجياً، وكادت تُغيبها من الاستعمال.

ووردت الكلمة في أحد الأبيات التي تُتشد في لوحة الأهالة:

أَهْلًا بِسَلَامٍ فِي الْأَوْرَاقِ وَيَانِي      مِنْ صَاحِبٍ فِي الْأَرْضِ بِاخْصَ شَوْفِهِ

3. الخط: جمعها (خطوط)، وتعني الرسالة الشخصية، ويقال: (فلان مطرَّش خط)، أي: مُرسل رسالة، قال الشاعر (إرشييد بن ثاني):

يَا سَيِّدِي لِي تَكْتَبُ الْخَطُ      زَيْدٌ لِيهِ فِي السَّطْرِ حَرْفَيْنِ

4. البروة: الوثيقة، وجمعها (إبراو)، وتشمل العقود وبراءة الذمة.

5. المكتوب: الرسالة، وجمعها (مكاتيب)، فيقال: (فلان مطرَّش مكتوب).

6. القِراءة: القراءة تُتطق (القِراءة)، والقاف هنا تُتطق جيماً مصرية، والقارئ (جاري)، والقراء: (قرايين)، وقد مرَّت صيغة الجمع هذه في البيتين السابقين.

7. كِتَب: وتُتطق بكسر الكاف، والتاء (كِتَب)، وقد وردت الكلمة في قول أحد الشعراء يتحدث عن الخبز المدهون بالسمن البلدي:

أَمِ السَّمْنُ كُلُّوْهَا      قَرَائِينَ الْكِتَبِ

وَالْيَابِسَةُ خَلُّوْهَا      فِي الدَّوْرِيِّ تَنْسَحِبُ

ومن ذلك أيضاً:

الصَّلَاةُ فَرَوْضُهَا زَلَّتْ      وَالْمَطْوَعُ فَاتِحُ كُتَابِهِ

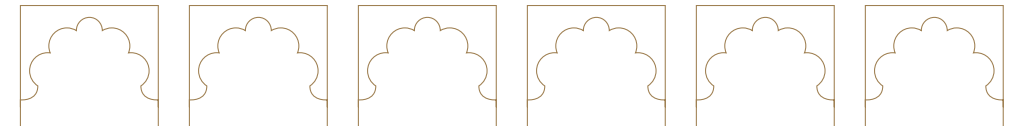
8. الكِتَبَة والكِتَب: الكِتَبَة - بكسر الكاف - هي عملية الكتابة. وتُطلق على الخط نفسه، فيقال: (الكِتَبَة مَب واضحة).

أما كِتَب: بفتح الكاف وكسر التاء فتعني: وثيقة أو صكاً أو عقداً، فيقال: (بيني وبين فلان كِتَب)، ويقال: (عندنا كِتَب على بيع الأرض).

9. كاتب وكِتَيْب: هو الشخص الكاتب، وتستخدم صفة كِتَيْب كصيغة للمبالغة في مهارته وإتقانه، وقد وردت في أبيات ليعقوب بن يوسف الحاتمي:

هَاتِ الْقَلَمَ وَاكْتَبْ يَا كِتَيْب      جَرَبَ بِحَبْرٍ دَاخِلَ ادَوَاهِ

10. ديوان: كلمة مقتبسة من الفارسية، وتعني السجل، والعامية تطلق كلمة ديوان على الكتاب عمومًا، وبالأخص ديوان الشعر، ولكنه يُجمع في العامية على (دياوين)، وليس دواوين.
11. دفتر: تعني السجل، وهي فارسية الأصل، والجمع (دفاتر)، وكان التجار ونواخذة الغوص يدوّنون حساباتهم وديونهم في سجلات يطلقون عليها دفاتر، ويقال: (فلان عليه دفتر)، أي: إنه مدين للتاجر، ودّينه مقيد في سجل الحسابات.
12. الكاف: غلاف الكتاب، وجمعه (كافات)، ويقال: (كتاب كافه مجلوع)، أي: إن غلافه منفصل عنه.
13. القصّ: تعني مكان التوقف عن القراءة في الكتاب، وتوضع علامة للاستدلال على الصفحة عند الرغبة في استئناف القراءة. ومنه قولهم: (ضاع قصّي)، إذا فقد العلامة الدالة على موضع القص، وتعني التسميع لقارئ القرآن الكريم، أو أي متن من المتون.
14. الدواية: هي الدواة التي تُعبأ بالمداد، وقد وردت في شعر (يعقوب بن يوسف الحاتمي) المتوفى في أوائل القرن العشرين:
- جربّ ليه طرس وهات الدواية      ثم ادنيا لي عود مبرى له اشلاخ
15. المداد: وهو السائل الذي يخط به القلم على الصحائف وما يقوم مقامها، وهي فصيحة مشتقة من الفعل (مدّ)، حيث تمتد المحبرة القلم ليكتب، ونظرًا إلى استخدام السائل الأسود الموجود في الجسم الرّخو للنغر (الحبّار أو الخثاق) في الكتابة قديمًا؛ فقد أُطلق على غُدة الحبر فيه محليًا اسم (المدادة)، وقد استُخدمت أيضًا مادة المَغَر (الأكسيد الأحمر) مدادًا للكتابة.
16. القلم: كما هو في الفصحى، وتُطلق القاف جيمًا مصرية مع تفخيم اللام، ولكنه يُجمع في العامية على (إقلامَة) بتفخيم اللام أيضًا.



17. الشَّرَف: السطر المكتوب. ولم أسمع لها صيغة جمع.

18. الكَرَانِي: وجمعها (كرانيّة)، يُطلق اسم الكراني على مَنْ يمتهن كتابة الوثائق

والعقود والرسائل للناس بالأجرة، والكلمة فارسية تعني: المقيد.

19. المِيَاحة والمَحَاية: الممحة، المسّاحة، مأخوذة من مَحَوْتُ الخط، أو مسحته

لأمحوه، وأطلق اسم (المَحَو) على الرقية الشرعية التي تقوم على كتابة آيات

قرآنية في صحن صيني أبيض بالزعفران وماء الورد ثم غسلها وسقيها

للمريض، أو مسح العضو المصاب بها، ومنه قول الشاعر (حسين بن ناصر

آل لوتاه):

كُتِبُوا مَحَو من ريجِه      كود امرضي يشفيه

20. مَشَرَص: ورق مشرّص: وفي الفصح (مُشَرَّس)، أي: مُلصق بواسطة الإشراس

وهو الصمغ.

21. المشخاطة: المسطرة، وقد اشتقت من الفعل (شَخَطَ)، أي: خَطَّ خطأ، وصيغة

المبالغة (يَشْخُطُ)، والشَّخَط هو الخط المرسوم، وجمعها إِشْخُوط.

22. الضرب على الكتابة: يقال: ضرب فلان على الحساب أو على الكلمة أو

الجملة، أي: شطّبها بالقلم ليُلغيها، ويقول المُملي للكاتب: (اضرب على اسمه).

23. لَحَح: الإصابة بإجهاد في العينين بسبب القراءة في ظروف سيئة، كالإضاءة الخافتة

أو القوية جدًا، أو بسبب صغر الحروف. يقال: (فلان جاسه لَحَح في عيونه).

## 7. العاهات في اللهجة المحلية والأمثال الشعبية

تميزت الحياة في المجتمع المحلي قبل ظهور النفط بالبساطة وتدني المستوى المعيشي لدى الشريحة الكبرى من السكان في المدن الإماراتية، فضلاً عن القرى الزراعية الجبلية والبادية، ولقد كانت نسبة المصابين بعاهات في المجتمع آنذاك أكبر مما هي عليه اليوم دون شك، نظراً إلى انعدام الخدمات الصحية الحديثة، وندرة فرص التطعيم ضد الأمراض السارية، والاعتماد على الطب الشعبي البسيط، وضعف الوعي الصحي بشكل عام، وعدم وجود مؤسسات متخصصة تُعنى بتأهيل المعوقين، ويمكننا تصنيف العاهات الشائعة في المجتمع المحلي قديماً في ما يلي

**أولاً - الإعاقة الذهنية:** تتمثل في التوحد وانخفاض مستوى الذكاء والإصابة بمتلازمة داون، والبله، والجنون، ويطلق عليه اسم (الخيال)، وكان العامة يعتقدون أن سبب بعضها هو مس الجن في الصغر، ويطلق على منخفضي الذكاء من باب التعيير: الطُّمَّة، الدُّعْمَة، الصَّدِيمَة، الدَّهْدَوْهَة، البَغَّام، الخَذِيَة، وجمعها (أَخَذِيّ)، وتشمل الجنسين.

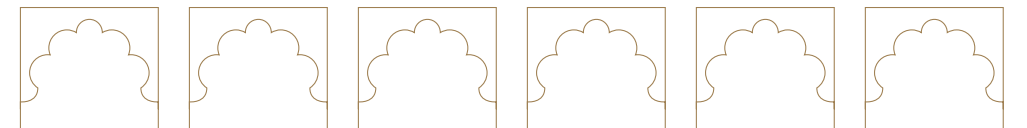
أما المجنون فيسمى (الخُبلة)، وخبيلة بالتصغير، والجمع (خبايل)، وهي صيغة تشمل الجنسين. ويسمى أيضاً (المينون)، والجمع (ميانين وميَنَن)، وتصغيرها ميينين، والمؤنث (مينونة).

ومن أبيات للشاعر (أحمد بو سنيدة) (ت 1920م):

(لي سال دمعي قلت يا رب ذي النون لا اجعلتني شروات ليلي ومينون)

وله أيضاً بصيغة التصغير:

(واجسّمت لي يا زين قلبي جسيمين وادعيتني شبه المعنّى ميينين)



ومما ورد في هذه الإعاقة من الأمثال: ما ينشق الثوب بين عاقل ومينون، تياوَز بمينونك عن أيّيك أيّن منه.

- وهناك مصطلح عام يطلق على ذوي العاهات الشديدة التي تعوق المصابين بها عن العمل وتجعلهم عالة على ذويهم، وهو (عَطيلة) على وزن جميلة، أي: طاقته معطلة.

**ثانياً - عاهات الإبصار:** حيث تصاب العينان أو إحدهما بعاهة مستديمة، إما لأسباب خلقية أو نتيجة إصابة عارضة، وأهمها:

1. **العمى:** الناتج عن فقدان البصر خلقاً منذ الولادة، (ويسمى في العربية: الأكمه)، أوفي مرحلة لاحقة من العمر لأسباب مرضية، كالرمد أو التراخوما، أو نتيجة إصابة، وغالباً ما تقتصر على إحدى العينين، وقد تتأثر الأخرى لاحقاً فينطفئ نورها، ويطلق على الأعمى في اللهجة المحلية: (العَمّي والعَمّي)، والمؤنث (عميا)، والجمع (عميان) للجنسين، والجفيف (كفيف)، وتطلق che-feef.

ومن الأمثال الشعبية: الجحال (الكحل) في العمى ضايح، رمد العين ولا عماها، عميا تحنّي مينونة! اعميت فارقت الدنيا، أصليت فارقت الجماعة.

2. **العُور:** وأصلها الفصيح (الأعور)، وجمعها (عُوران)، والمؤنث (عورا)، وهو اسم يطلق على مَنْ فقد عيناً واحدة، وفي أحيانٍ أخرى يُطلق (الأعور) على الأعمى الفاقد البصر تماماً.

ومن الأمثال الشعبية التي ورد فيها ذكر العُور: العُور بين العميان باشا! فَرّة عورا والا صابت والا خابت.

3. **الحَوْل:** وهو انحراف يصيب إحدى العينين فيُخل بميزان التوازن الطبيعي

بينهما، وهو نوعان:

أ- أن تتحرف إحدى المقلتين نحو الأنف، ويطلق على المصاب بهذا النوع اسم (الأشلق)، والمؤنث (شلقا).

ب- أن تتحرف إحدى المقلتين نحو الأذن، ويطلق على المصاب بهذا النوع اسم (الأشوص)، والمؤنث (شوصا).

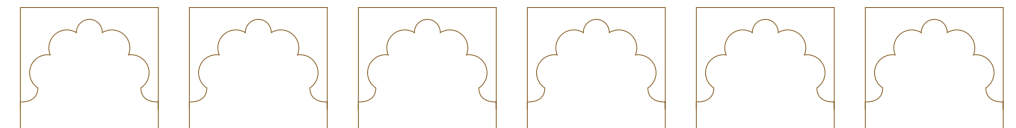
ومن الأمثال الشعبية الوارد فيها ذكر هذه العاهة: حظ الشلقا والبَلقا وخايبة الملتقى. (أي: يكون حظهن من الزواج أحياناً أفضل من الحسنات)، والبَلقا هي ذات العينين الجاحظتين.

4. **الفُص:** ويطلق عليه (الوضحة)، ولونه أبيض، ويتكون فوق بؤبؤ إحدى العينين غالباً، فيُضعف الرؤية وقد يحجبها تماماً، والبؤبؤ هو صبي العين بالعامية، وإنسانها بالفصحى.

ومن الأمثال الشعبية: العورا تعيب على أم فص!

**ثالثاً- عاهتا الصمم والبكم:** وتكونان متلازمتين إذا وُلد الطفل أصمّ، نظراً إلى عجزه عن تعلم اللغة، فيستعيز عنها بالإشارة، وقد يصاب الشخص السليم بضعف السمع في مرحلة عمرية لاحقة نتيجة مرض شديد أو إصابة في الرأس، ويطلق على الأصم في اللهجة المحلية: (الأصمخ والأصلي) (في الفصحى الأصليج)، والمرأة (صمخا وصلياً).

أما الأبكم فيسمى (الأبلم)، ومؤنثه (البلم)، بحذف الهمزة تخفيفاً في صيغ التأنيث السابقة، وجمعها (البلمان)، وتشمل الجنسين، ويسمى أيضاً (البُكمة).



ومن الأمثال الشعبية المتعلقة بالصمم: صمخ النواخذة، كناية عن تجاهلهم لسخط البحارة الذين يقاسون الشدائد في رحلة الغوص على اللؤلؤ.

عمك أصمخ: أي إن الشخص الذي تحاول إقناعه يتصام عن سماع حديثك عمداً.

ومن الأمثال الشعبية المتعلقة بالبكم: البلمة تعرف حجي ولدها، أي: تفهم كلامه بغريزة الأمومة واعتيادها التعامل مع طفلها.

**رابعاً- عاهات النطق:** وهي عيوب لها أصل خلقي وأحياناً عصبي، وأبرزها:

1. **اللثغة:** وهي تؤدي إلى عجز المصاب عن نطق بعض الحروف بشكل سليم كالراء والسين والزاي، ويطلق عليه محلياً الألفث بتقديم الغين على الثاء، ومنه قول (راشد الخضر): (الثاء ثرى للّغث إذا ثار محتّث ثاوي لسانه عاثر النشر مرتث)

2. **الحُبسة:** ولم أجد لها اسماً سوى أن المصاب يوصف بأنه (يتاتي)، مأخوذ الفعل من التأتأة، ولم أجد للشعراء ولا لضاربي الأمثال شيئاً يتعلق بها.

3. **الخنة:** وهو ما يسمى في الطب بالخنف، نتيجة تشوهات عديدة في أعضاء النطق، ويطلق على المصاب اسم الخن والمرأة الخنا، ولم أجد له ذكراً في الشعر ولا في الأمثال.

**خامساً- التشوهات الجسدية:**

ومن أهمها:

1. احديداب الظهر، نتيجة تشوه خلقي أو عادة خاطئة في هيئة الجلوس، ويطلق على المصاب بها اسم الحدب وأصلها الفصيح الأحدب، وأحياناً يسمى (بو حديبة) من باب التندر، والمؤنث حدبا (حدباء).

ومن الأمثال الشعبية: الحَدَب يعرف كيف ينام! (كناية عن تكيفه مع عاهته).

2. الشفة الأرنبية: وهي عاهة يولد بها بعض الأطفال، ويطلق عليه محلياً الأشرم والمشروم، ويعاني المصاب عيوباً شديدة في النطق، ولم يكن بالإمكان إجراء جراحة تجميلية لهذه الحالة قبل دخول الطب الحديث.

**سادساً - عاهات حركية:** وتشمل تعطل حركة الرِّجلين واليدين أو إحداهما، وأهمها

1. شلل الأطفال: وهو مرض فيروسي مُعدٍ، ويسمى المصاب به المجسح أو الجسيحة أو الجسوحة (تطلق الجيم هنا: ch) مأخوذ من الكُساح، وهو العجز عن المشي.

2. العَرَج: وهو عجز إحدى الرِّجلين عن المشي إلّا بصعوبة، نتيجة كسر أو التواء أو خلع الورك أثناء الولادة، ويطلق عليه في العامية (العَرِي)، والجمع (عريان)، والمرأة (عَرِيَا)، وهو من باب إبدال الجيم ياءً، ويسمى أحياناً (الأكرف)، ومؤنثه (كرفا).

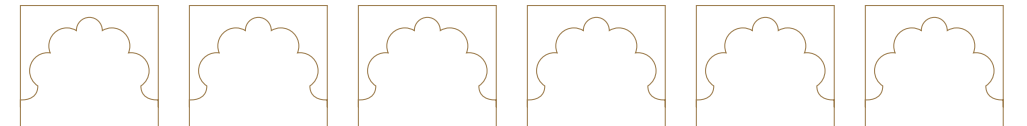
ولم أقف على شيء من الأمثال المتعلقة به.

3. العَضَب: وهو شلل يصيب إحدى اليدين نتيجة إصابة تؤدّي إلى قطع بعض الأوتار فيها، فتُعاق اليد عن الحركة والإمساك بالأشياء، ويطلق على المصاب به أيضاً (العضب)، والجمع (عضبان)، والمؤنث (عضبًا).

ومن أبيات الشاعر (راشد الخضر):

(عن غلق بابي الإيد عَضبا مفتوح بابي حق لحباب)

4. بتر الكف اليمنى: ويحدث نتيجة إقامة القصاص على السارق حسب الشريعة الإسلامية، ويطلق عليه اسم (مَقْصُوص)، وقد يفقد المرء ذراعه كلها بسبب إصابة عمل فيُضطر الأطباء إلى قطعها، ويطلق عليه نفس الاسم.

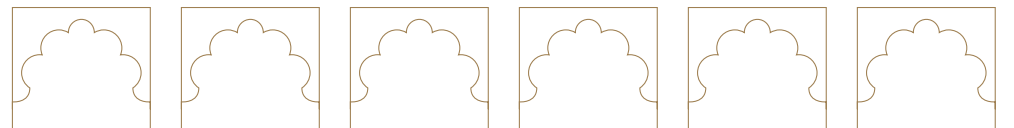


- وفي الواقع كانت تلك العاهات بالنسبة إلى المصابين بها وإلى ذويهم أيضاً مصدر أذى نفسي لا شك فيه، فبعضهم -وخاصة ذوي الإعاقة الذهنية- كانوا عالة على أسرهم، ولم يكن هناك ما يسمى بـ (الضمان الاجتماعي) لهذه الفئات قبل قيام الاتحاد المبارك، وإضافة إلى مشاعر القصور وعقدة النقص لدى هؤلاء المصابين نجد أن بعض الناس السيئ الخُلق والقليلي التهذيب في المجتمع لا يتورعون عن تعييرهم ونبزهم بالألقاب التي نهى عنها الدين الإسلامي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ سورة الحجرات، الآية رقم (11).

وقد ظلّت بعض تلك الألقاب، أو اللبقة أو التعيورة، ملازمة لكثير من أولئك الأفراد وذرياتهم من بعدهم، ومن جانب آخر لم تُعق تلك العاهات المبصرين والقادرين على الحركة منهم عن العمل الجاد في الأعمال المختلفة لمساعدة أنفسهم في كسب لقمة العيش.

# فعاليات اجتماعية واقتصادية متنوعة

## الباب السادس



## 1. المجلس في تراث الإمارات الاجتماعي

المجلس أو (الميلس)، هو رمز الضيافة والكرم العربي، ولذلك أصبح من المرافق الأساسية في البيوت في مجتمع (الإمارات) قديماً وحديثاً، نظراً إلى الوظائف الاجتماعية والتربوية المهمة المنوطة به، ومن أهمها أ. أنه مكان للضيافة (استقبال الضيوف، وإطعامهم، ومقر إقامة لهم)، حيث لم تكن هناك فنادق أو نُزل في المدن القديمة لإيواء الغرباء والضيوف. ب. تبادل الأخبار بين أبناء الحي، واستطلاعها من الضيوف القادمين من مكان بعيد.

ت. التشاور في الشؤون العامة والخاصة.

ث. تعليم الأبناء آداب الرجال و"سنع" الضيافة، حيث يلازم أبناء الأسرة والدّمهم في المجلس، الذي يكلفهم بصب القهوة والاعتناء بالضيوف.

ويحرص أصحاب المجالس على الاهتمام بتأثيرها باعتبارها واجهة لأهل البيت، وتزويدها بلوازم الضيافة من "كوار" للقهوة، و"حب" للماء، وموضع لغسل الأيدي. وقد تنوعت المجالس تبعاً لتنوع فئات المجتمع واختلاف اهتمامات أصحابها ورواد مجالسهم، فهناك مجالس للشيوخ، يطلق عليها (البرزة)، فيقال: (الشيخ يبرز عقب العصر)، ومجالس للتجار، وخصوصاً تجار اللؤلؤ (الطواويش)، وهي التي تدور فيها مفاوضات البيع والشراء الخاصة باللائئ، ومجالس للنواخذة والبحارة يلتقي فيها النواخذة طاقم سفينته من البحارة، وتجري فيها عمليات القواض (منح القروض وتوثيقها)، والتسقام (قروض للشتاء)، ومجالس للشعراء يتداولون فيها القصائد ويستمعون لما استجد منها، وردود بعضهم على بعض، ومجالس للعلماء، يتناقشون فيها حول المسائل العلمية، وخاصة في الفقه، وقد تتحول تلك

المجالس إلى حلق علمية يقوم كبار العلماء بالتدريس فيها لطلبتهم، ولا شك أن هناك مجالس للسفهاء وسفلة الناس ممن لا يخلو منهم مجتمع إنساني. -قوثلما أن للرجال مجالسهم كانت للنساء مجالسهن الخاصة بهن، حيث يتبادلن الزيارات وقت الضحى وبعد العصر، سواء داخل البيوت أيام الشتاء أو في المساحات الخالية بين البيوت، (ويطلق عليه: الرايح).

## 2. الشرائح الواعية والمستنيرة في الإمارات خلال النصف الأول من القرن العشرين

وُجدت خلال الحقبة التي سبقت دخول التعليم الحديث إلى (الإمارات) (ابتداءً من عام 1953م)، التي كان التعليم خلالها تقليدياً بسيطاً، شرائحٌ معينة من أبناء (الإمارات) تميزت بكونها أكثرَ وعياً وثقافةً واستنارةً من غيرها، حيث اتسمت بسعة الأفق، وعمق التفكير والإدراك، وبُعد النظر، واتساع دائرة المعارف، ولعلَّ أبرز تلك الشرائح المستنيرة خلال الحقبة المذكورة هي:

### الحكام وأبناء الأسر الحاكمة:

تُتاح لأبناء الشيوخ فرصٌ ممتازة للتعليم، نظراً إلى حرص آبائهم على تأهيلهم للحُكم والمناصب الرفيعة، ومن ثم فإن الحُكام يسعون إلى توفير أفضل الخبرات التربوية والتعليمية المتاحة في المجتمع المحلي لتربية وتعليم أبنائهم، وكانت المواد التعليمية آنذاك لا تعدو تعلُّم القرآن الكريم والقراءة والكتابة والخط والحساب وشيءٍ من فقه العبادات والحديث النبوي، ونادراً ما تزيد على ذلك.

ويتزامن مع التعليم النظري تدريبٌ عملي على التمرس بشؤون الحكم والمهام الكبيرة المتعلقة به، إضافة إلى مهارة استخدام السلاح، والفروسية، والتعرف بالحُكام الآخرين وشيوخ القبائل.

أيضاً يحرص الحكام على غرس قيم الرجولة، وأهمها الشجاعة والصبر والشهامة، في نفوس أبنائهم، وهذا يُثري تجربتهم، ويحفزهم على السعي إلى طلب المعالي، والتخلق بأخلاق الرجال، ويقدحُ أذهانهم لمواجهة الظروف السياسية والاقتصادية، واتخاذ القرارات السليمة تجاهها.

### 1. وجهاء وأعيان البلاد:

يشكل وجهاء وأعيان كل إمارة الطبقة الأرستقراطية التي تلي طبقة الحكام في المكانة الاجتماعية، فهم ملاك الثروة في المجتمع، وأصحاب رؤوس الأموال التي تُستثمر في مجالات متنوعة، وكان أولئك الوجهاء والأعيان حريصين على تأهيل أبنائهم لكي يتولوا أعمالهم، وينوبوا عنهم في مختلف الشؤون، فلم يكتفوا بتعليمهم القرآن الكريم فحسب، بل حرصوا على أن يعلموهم القراءة والكتابة والحساب، ونادراً ما كنت تجد وجيهاً أمياً، وكان لعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية الواسعة وأسفارهم أثرها الإيجابي في مستوى ثقافتهم وتفكيرهم.

### 2. علماء الدين:

كانت لعلماء الدين الإسلامي من فقهاء وقضاة وخطباء ثقافتهم الإسلامية المميزة، التي تمنحهم مكانةً اجتماعيةً، واحتراماً وإجلالاً من جانب الحكومة والشعب. ويكسب علمُ الفقه -وخاصةً فقه المعاملات والأحوال الشخصية- المشتغلين به بُعداً في النظر، وعمقاً في الرؤية، وثقافةً اجتماعيةً ونفسية؛ بسبب ارتباط تخصصهم بمصالح الناس المختلفة، فكان الفقيه مرجع الحكومة والناس في حلّ المشكلات الاجتماعية، ووضع الأمور في نصابها.



### 3. الشعراء والأدباء:

يتميز الشعراء والأدباء بكونهم موهوبين يحسنون فنون القول ويلتقطون دُرَرَ التراث من شعر ونثر وأمثالٍ، وحكم وأقوالٍ مأثورة، ونوادرٍ وقصص، ويتمثلون بها في أحاديثهم العامة، وهم ذوو مخزونٍ لغويٍّ غنيٍّ بالمفردات والتعابير التي يوظفونها لخدمة إنتاجهم الأدبي.

وقد وُجدت في مختلف الإمارات مجالسٌ مشهورةٌ للشعر والأدب، أسهمت في صقل مواهب الشعراء، وتخضيب قرائحهم، وإرهاق مشاعرهم وأحاسيسهم، وإكسابهم بلاغةً وبياناً، وطلاقةً لسان .

### 4. نواخذة السفر:

وهم ربابنة السفن التي تمخر عُبابَ البحار؛ لنقل البضائع بين الأقطار التي يتعامل معها أبناءُ (الإمارات)، ومن أهم الفوائد الثقافية المترتبة على الأسفار البحرية البعيدة المدى:

أ. ازدياد الخبرة بأساليب التعاملات التجارية.

ب. التعرف بأنماط مختلفة من المدنية وأساليب المعيشة في تلك الأقطار، وهو ما يَنَتِج عنه اتساعُ الأفق، واكتسابُ قيمة التسامح الديني، والسعيُّ إلى إدخال تحسينات على طرق العيش في المجتمع المحلي.

ج. اكتساب معرفة واسعة في مجال الملاحة والطقس.

### 3. التبادل التجاري بين الساحل والداخل في مجتمع الإمارات قديماً

#### أ- النشاط الاقتصادي في مدن الساحل

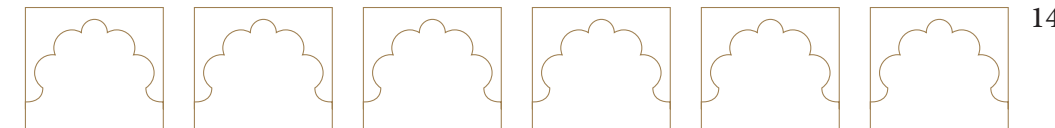
أدى تنوع البيئات الطبيعية في (الإمارات) (بيئة ساحلية، وبيئة صحراوية، وواحات زراعية، وبيئة جبلية)، إلى تباين الأنشطة الاقتصادية التي زاولها السكان في كلٍّ منها منذ القدم تبعاً لمعطيات تلك البيئة، وقدرة ساكنيها على استغلال تلك المعطيات للاستغلال الأمثل لمصلحتهم.

الإمارات السبع كلها هي مدن ساحلية، نشأت على ضفاف الخيران (جمع خور)، وجمع سكانها بين الأنشطة البحرية والتجارة والصناعات التقليدية، وكانت مدن الساحل مراكز تسوق لأبنائها ولأبناء البادية والقرى الجبلية والواحات الداخلية، نظراً إلى توافر السلع والخدمات المتنوعة فيها بحكم العلاقات التجارية مع الأقطار الأخرى، كالهند، وكراتشي، وبلاد فارس، والبصرة، والبحرين، والقطيف، وعمان، وعدن، وجزيرة سوقطرة، وزنجبار... إلخ.

وقد تصدرت مدينة دبي مدن الساحل في أهميتها التجارية وكونها العاصمة الاقتصادية دون منازع، إذ كان تجار الإمارات الأخرى يتزودون من محلات تجار الجملة في دبي، أو يعتمدونهم وسطاء في عمليات الاستيراد من الخارج، حيث كانت لبعضهم وكالات تجارية في بومباي أو كراتشي.

- ومن أهم الواردات إلى أسواق (الإمارات) من الأقطار الخارجية خلال حقبة ما قبل ظهور النفط:

المواد الغذائية: وخاصة الأرز والقمح والتمور، والأقمشة والملابس الجاهزة،



والأخشاب لصناعة السفن، والجندل للتسقيف، والأدوات المنزلية، وأهمها الأواني المعدنية والصيني، والسجاد العجمي، والكماليات كالعطور والحلي، إضافة إلى العقاقير الطبية، والمطبوعات العربية... إلخ.

- إلى جانب ذلك يتوفر في المدن الساحلية العديد من الحرف الصناعية لتلبية متطلبات المجتمع البسيطة، ومن أهمها: صناعة السفن، ويطلق على تلك الصناعة اسم (الجلافة أو القلافة)، والنجارة، والحدادة، والصناعات الجلدية، ويطلق على المشتغل بها اسم (الشَّمار)، وصياغة الذهب، وتصنيع المواد الغذائية، كالحلوى العمانية، والخبز، والحلويات المختلفة، وتجار الماء الذي يجلبونه من الآبار على ظهور حميرهم لتزويد البيوت والسفن المسافرة بالمياه العذبة، ويطلق على تاجر الماء اسم (هاويه).

- أما الخدمات فأبرزها: البناء، سواء للمباني الحجرية أو بيوت الجريد، والخياطة، والحلاقة، وتسمى (الحسانة)، ويسمى الحلاق قديماً (المحسن)، والحُمُولِيَّة، أي: توصيل السلع إلى البيوت بطريقة الحمل على الظهر أو على ظهور الدواب مقابل أجرة بسيطة.

- وأما الصادرات فبعضها من إنتاج أرض (الإمارات)، وبعضها الآخر مُعاد تصديره (ترانزيت)، وكانت اللؤلؤ من أثمن الصادرات الإماراتية، حيث ينقل تجاراً اللؤلؤ (الطوايش) حصيلتهم من اللؤلؤ إلى مدينة بومباي لتباع هناك عبر وسطاء إماراتيين وخليجيين وهنود.

وأما السلع المُعاد تصديرها فأبرزها التمور، حيث يشتري التجار كميات كبيرة من تمور البصرة والقطيف وميناب (مدينة في الساحل الفارسي)، ويسافرون بها بحراً لبيعها في شرق إفريقيا وجزيرة سوقطرة والهند.

- أما بالنسبة إلى التبادل التجاري مع المناطق الداخلية في (الإمارات) فقد كانت التجارة نشطة، وعمليات التبادل قائمة على قدم وساق، واتسمت بالبساطة واليسر بسبب التجانس السكاني، والقرب المكاني نسبياً، وكون السلع المطلوبة مواد أولية أو سلعاً مُصنَّعة صناعةً تحويلية.

### ب- التبادل التجاري بين البادية والمدن الساحلية

تشكل قبائل البدو نسبة كبيرة من سكان (الإمارات)، لها طابعها الخاص وتراثها التليد الذي يتميز بالأصالة والقيم العربية الأصيلة، وقد طبعت الصحراء القاسية حياة البدوي بالرجولة والشجاعة والمثابرة، واعتمد النشاط الاقتصادي في البادية على تربية الإبل وقطعان الأغنام والغزو و"المكدة"، ونقل العائلات المصطافاة إلى منطقة شمال الباطنة بسلطنة عمان.

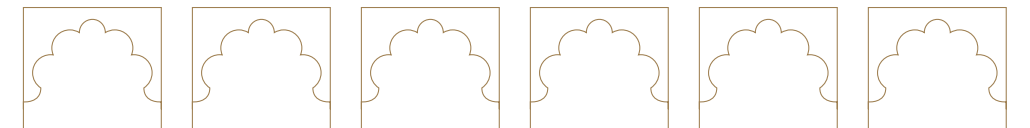
وقد كان البدو يشتغلون بالتجارة مع أهل المدن الساحلية، حيث يجلبون منتجات البادية على ظهور جمالهم لتسويقها في أسواق تلك المدن، وبالمقابل يشترون ما يحتاجون إليه من المنتجات الضرورية.

وأهم المواد التي كانوا يجلبونها من البادية آنذاك هي:

1. حُزْم الحطب: وكانت الحاجة ماسة إليه كوقود قبل دخول عصر البوتغاز، وكان البدوي يجلب معه حزمةً من الحطب، ويقصد بها العرصة المجاورة للسوق، ويمرّح نياقه، وينادي على حمولته، وكان بعضهم عميلاً للأسر الكبيرة الثرية.

وأهم أنواع الحطب مرتبة حسب الجودة: السُمُر، والأرطى ويُسمى (العَبَل)، والغاف.

ويصل سعر الحزمة إلى روبية، ويكون سعرُ حطب السُمُر ضعفَ سعر النوعين الآخرين.



2. بطائح الحشيش: وفي أوقات الخصب تكثر في الصحراء حشائش الثمام والنّصي والدخّاء، فيَحْشُشُهَا البدو ويحزّمونها في حزم ضخمة، وتسمى الحزمة بطيحة، ويشتريها مربو الأغنام والأبقار في المدن كعلف لأنعامهم، ويتراوح سعرها ما بين نصف روبية وروبية كاملة.

3. الفحم النباتي (الصخام): وهو المادة الثانية للوقود بعد الحطب، حيث يستخدم للخبز عليه ولإشعال البخور ولتدخين القدو... إلخ، وتشتغل بعض قبائل البدو بإنتاج الفحم من خلال إحراق أغصان شجر السمر والأرطى والغاف في محرقة كبيرة حتى تصبح جمراً، ثم ييادرون إلى دفنها بسرعة قبل أن تصبح رماداً، ويضعون حول المكان حواجزاً من الأغصان والأشواك حتى لا تطأها الجمال فتحرق أخفافها، وبعد مرور يوم أو أكثر يستخرجونها وقد تحولت إلى فحم أسود، ويعبئونها في أكياس من الخيش (يواني) لتباع في المدن، وكانت في بعض المدن أسواق خاصة لبيع الصخام.

4. منتجات الألبان: وأهمها السمن الذي يكون معبأ في ظرف من الجلد، واليقط (الأقط)، أما (الجامي) المصنوع من اللبن المطبوخ فيجلبه بعض البدو المقيمين على مقربة من المدن.

5. الطرائث: مفردتها (طرثوث)، وهو نبات فطري ينبت بعد هطول الأمطار، ويتميز بمرارة طعمه، لكن العرب منذ القدم اعتادوا أكله مشويّاً في الرماد الحار، وكان بعض البدو يجلبون منه كمية عند قدومهم إلى المدن.

وبالمقابل فإن البدو بعد انتهائهم من تسويق بضاعتهم يقومون بالتسوق من سوق المدينة، ومن المعروف أن معيشة البدوي تقتصر على ضروريات الحياة، ومن ثم فمشترياته تكاد تنحصر فيما يلي

1. المواد الغذائية: كالأرز والبر (القمح)، والتمر، والملح والسكر، والقهوة، والسّمك الطازج والمجفف.
2. الأقمشة.
3. الأوعية الضرورية، كالقدور ومُعدّات القهوة، وما لا غنى عنه من الأدوات المعدنية البسيطة.
4. السلاح الناري، والأسلحة البيضاء كالخنجر والسكاكين.

### ج- التبادل التجاري بين القرى الزراعية الجبلية والمدن الساحلية

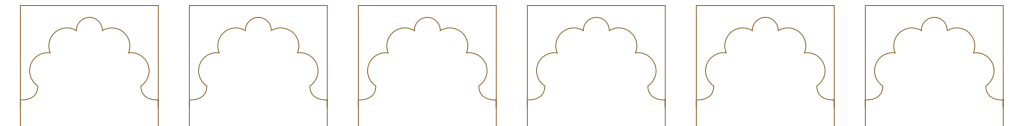
تنقسم القرى الزراعية الجبلية بحسب موقعها إلى قسمين هما:

#### أولاً- القرى الجبلية الداخلية:

وهي تقع وسط الجبال وفي السفوح الجبلية وعلى حافات الأودية، وتتميز بوفرة المياه وخصوبة التربة، ومن أبرز تلك القرى: مساي، والمنيعي، والحويلات، وحتا، ومصفوت، واعسمة، ووادي طيبة، ووادي الحلو، ويتسم سكانها بالنشاط والقوة والشجاعة، ومن أبرز الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها سكان تلك القرى: الزراعة، والصيد، والمكدة، وتربية الأغنام والمواشي، وجني العسل، وبناء البيوت الجبلية، وصناعة الفخار.

أما أهم منتجاتها التي يجري تصديرها إلى المدن الساحلية فهي:

الرطب الطازج والتمور، والمنتجات الخوصية المصنوعة من النخلة، والحمضيات (كالليمون والشخاخ أو الإترنج)، والفاكهة (كالمانجو والجوافة)، والفندال (البطاطا الحلوة)، والتبغ (الغليون)، والعسل، والسمن البلدي، والفحم النباتي.



ويُطلق على عملية نقل المنتجات إلى مدن الساحل لتسويقها اسم (المَكْدَة)، بمعنى الاكتساب، وتجرى بواسطة قوافل صغيرة من الحمير والجمال، وتستغرق الرحلة بضعة أيام في طرق جبلية وعرة، تليها صحراء واسعة ينعدم فيها الأمن بسبب انتشار قطاع الطرق، ومن أسواق المدن يشترون حاجاتهم من الأرز والبهارات والأقمشة، ويشترون أيضاً كميات من الأسماك المجففة (الجسيف) لطعامهم، والعومة المجففة لتسميد مزروعاتهم، وخاصة من (الفجيرة وكلباء).

#### ثانياً- القرى الجبلية الساحلية:

وهي قرى وبلدات يجمع سكانها ما بين النشاط الزراعي والبحري، حيث تواجه قُراهم البحر من ناحية، في حين تحتضنها الجبال من ناحية البر، ولعلّ بلدات شمال رأس الخيمة مثل: الجير، وشعم، وغليلة، وخور خوير، والرمس، خير مثال على ذلك، فسكانها يعملون خلال أشهر الصيف الحارة بالغوص على اللؤلؤ، وبعضهم في مجال زراعة النخيل، حيث يُقطف الرطب وتحوّل كميات كبيرة منه إلى تمور للاستهلاك والتصدير.

أما في فصل الشتاء فإن أبرز الأنشطة الاقتصادية تتمثل في إنتاج المالح (السّمك المملح)، إذ توجد أسماك القباب والصدى والكنعد بعشرات الآلاف قرب السواحل وعلى أعماق قريبة، فيقوم الصيادون بصيدها بواسطة الشباك الكبيرة، ويجري تشريحها وتمليحها وتخزينها في برك صخرية عميقة، وتكون صالحة للاستهلاك كمالح بعد مدة من التخزين، لا تقل عن أربعين يوماً، حيث تُصدّر كميات كبيرة منها إلى مدن (الإمارات)، وإلى القرى الداخلية حيث ينعدم وجود السمك الطازج. ومن أهم منتجات القرى الجبلية الساحلية التي يجري تصديرها بحراً إلى مدن (الإمارات)، إضافة إلى سمك المالح: اليوبل (السّمك المُشَرَّح والمجفف)، والأغنام،

والأواني الفخارية، والحُصُر، وشتلات اللوز (البيدام)، والبصل، والسُّقَب (التيين الجبلي)، والجبن، وحجارة سقائف القبور.

#### د-التبادل التجاري بين الواحات الزراعية والمدن الساحلية

الواحة: هي منخفض من الأرض، تكون مياهه الجوفية قريبةً من السطح وسهلةً التناول، وهو ما يجعل المكان صالحاً للنشاط الزراعي، ومن ثم يشكل منطقةً جذب للسكان ومحطاتٍ للقوافل في الصحراء، وهناك العديد من الواحات الزراعية في (الإمارات)، لعلَّ أشهرها

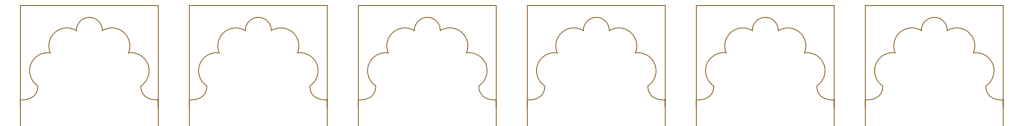
- واحة العين، وواحات ليوا، في إمارة أبوظبي.

- واحة الذيد، في إمارة الشارقة.

- واحة فلج المعلا، في إمارة أم القيوين.

وقد تنوعت الأنشطة الاقتصادية لدى سكان تلك الواحات، ومنها: الزراعة، وتربية الأغنام والأبقار، والتجارة (المكدة)، والنقل البري، لكن زراعة النخيل وإنتاج التمور كان هما النشاط الرئيسي لهم، وقد امتلكت غالبية سكان الواحات مزارع نخيل، وكان لبعض أثرياء المدن مزارع كبيرة في الواحات، يتعهدا أشخاص من أبناء الواحة بالسقي والتلقيح والتقليم وجني الرطب وتحويله إلى تمور، وذلك مقابل أجر مالي أو نسبة معينة من محصول التمر متفق عليها، ويطلق على أولئك الأشخاص اسم البيادير (مفردها بيدار)، ومن أشهر أنواع النخيل في الواحات: الخلاص، واللولو، والفرض، وبو معان، والخيزي، وبو الزيد، والجبري، والخصاب.

ويُستهلك ما لا يزيد على 30% من الثمار طازجاً من جانب السكان المحليين ومن جانب العائلات المصطافاة، في حين تُحوّل الكمية الكبرى من الإنتاج إلى تمور من خلال عملية متعددة المراحل، تبدأ بتجفيف الرطب على المسطاح أو ترك عذوق



الرطب دون قطاف حتى تهمد، ثم تتشر على حصير وتضغط بواسطة الدوس بالأقدام، وبعدها يجري كبسها وتعبئتها داخل جريان مصنوعة من الخوص، ويكون التمر معداً للاستهلاك، واشتهرت واحات العين بجريان تمرها الكبيرة التي يطلق عليها (القوسة)، وتزن نحو مئة كيلوجرام، ويصل سعرها إلى أربع روبيات.

وتصل جريان التمور إلى المدن على ظهور الجمال بواسطة قوافل المكدة التي يمارسها سكان الواحات بأنفسهم، أو تصل بواسطة العائلات الحضرية العائدة من المصايف، وتودع داخل البخاخير، المزودة بالمدابس لإنتاج الدبس.

ويعد التمر غذاء رئيسياً لأهل الخليج العربي عمومًا منذ القدم، حيث يؤكل مع الوجبات طوال العام، ومن ثم لا يخلو منه بيت، وتتزود سفن الغوص على اللؤلؤ بكميات كبيرة منه قبيل انطلاق رحلاتها مطلع فصل الصيف.

وقد عمل سكان الواحات على تدريب أبنائهم منذ الصغر على التجارة من خلال الخروج في قوافل المكدة والتنقل بين الواحة والمدن الساحلية في رحلات قد تستغرق أسبوعين ذهاباً وإياباً، ومن أهم منتجات الواحات التي يجري تسويقها في المدن: الرطب الطازج، والتمور، والليمون، والسمن البلدي، والفحم النباتي (الصخام).

وبعد الانتهاء من تسويق البضاعة يشتري أبناء الواحة من أسواق المدينة حاجتهم من المواد الغذائية، وأهمها: الأرز، وشرائح أسماك القرش المجففة، والجسيف، والبهارات، والقهوة، والأقمشة، وغيرها من الضروريات.

ومن الجدير بالذكر أن بعض سكان الواحات كانوا يقايضون الأسماك المجففة بنوع ممتاز من التمور، هو نوع (بو معان) بضعف وزنه، فكيلوجرام من السمك يُقايض بكيلوجرامين من التمر، وذلك بسبب صعوبة نقل السمك الطازج إلى الواحات البعيدة مع انعدام وسائل التبريد حينذاك.



قبل عصر الكهرباء في (الإمارات) لم تكن الإقامة في البيوت داخل المدن تُطاق من شدة الحر خلال أشهر الصيف الملهبة، التي تتزامن مع موسم الغوص على اللؤلؤ، فلم يكن هناك مفر من الخروج للاصطياف خارج المدن، وكانت هناك مصايف محلية وأخرى خارجية .

#### المصايف المحلية:

كانت مدن (الإمارات) قديمًا لا تزيد على كونها شريطًا ساحليًا تتركز فيه المساكن والأسواق حول الخيران؛ بسبب ارتباط النشاط الاقتصادي بالبحر، وتوجد على مقربة من المنطقة السكنية مزارع نخيل تسقى بمياه الآبار، وتشغل مساحات كبيرة تكاد تقارب مساحة المنطقة السكنية، ويطلق عليها البرايح (جمع بَراحة، أي: مناطق خالية من المباني)، فكانت الأسر التي تملك مزارع نخيل تنتقل إلى السكنى في مزارعها، فتبني عريشًا ومنامة من جريد النخل وجذوعها، وتجنّي الرطب، ويأتي باعة الأسماك يطوفون بأسماكهم لبيعها على النساء هناك، ويكون الصيف موسمًا للتلاقي بين عائلات أصحاب المزارع.

البراحة شرعة وراحة والعرب فيها مبشينا

قيظها ثامر بتفاحه والرطب تلفي به الهينا

وفي نهاية الموسم (نحو شهر سبتمبر) يبدأ المصطافون في العودة إلى مساكنهم الأصلية في المدينة حاملين أمتعتهم القليلة على ظهور الحمير أو بواسطة الحمالين أحيانًا.

#### أ- المصايف الخارجية: وتنقسم إلى جهتين، هما:

1- واحات (الإمارات) الزراعية: كالعين وليوا ومسايف وبعض مناطق رأس الخيمة (شعم، وغليلة، وخور خوير، ومعيريض، وشمل)، ويجري الانتقال إلى مناطق رأس الخيمة بواسطة سفن الشاحوف الشراعية لكونها مطلة على البحر.

ب- مصايف سلطنة عمان: وتنقسم إلى ثلاث مناطق متباعدة، وهي:

- شمال ساحل الباطنة.

- واحة البريمي المجاورة للعين.

- قرى شبه جزيرة مسندم (رؤوس الجبال).

ويجري الانتقال إلى الباطنة والبريمي على ظهور الجمال المستأجرة من عند البدو، الذين يأخذون النساء والأطفال في رحلات تستغرق أيامًا في الطرق الصحراوية المحفوفة بالمتاعب والمخاطر.

قال أحد الشعراء في معاناته إثر سفر محبوبته مع أسرتها للاصطياف في عمان، متمنيًا لها الاستمتاع برحلتها

البارحة بت أبوهي نار والصبر قل لي من ايوازيه

شاموا ينوب وشدوا أكار لعمان يعمل الله ايتهيه

ما بين موز وغرسة أشيار وعلى السبوع الغيل يسجيه

لي من خليج ما شاع دوار ويللي رمس حسه ايوطيه

أما بلدان مسندم فتنتقل الأسر إليها بواسطة سفن الشاحوف الشراعية، وأهم بلدانها: (بُخا، والجادي، وغمضا، وخصب، وحبلين)، وهي قرى جبلية يجمع سكانها بين النشاطين البحري والزراعي؛ لكونها مطلة على البحر، ومن خلفها الجبال



الشاهقة، وبينهما مزارع النخيل، واشتهرت تلك القرى بإنتاج السمك المملح (المالح) بكميات كبيرة وتصديره، إضافة إلى إنتاج التمور.

واعتماد أهل تلك القرى استقبال العائلات المصطافاة، وبناء عرشان من الجريد لها في مزارعهم، وجرت العادة أن تختار العائلة المصطافاة عدداً من نخيل المزرعة التي يقيمون فيها لتكون مخصصة للعائلة تجني رطبها مقابل مبلغ من المال، وبعض الهدايا لصاحب المزرعة وللبيدار (العامل الذي يعتني بالمزروعات)، وتتزاور الأسر القادمة من عدة إمارات.

وفي نهاية الموسم يعود البدو بجمالهم في الموعد المتفق عليه لأخذهم إلى الديار محملين بالهدايا (منتجات النخلة، والتمور، والدجاج الحي، والليمون اليابس، وورق الحناء)، وكان بعض التجار المصطافين يشترون كميات من الدعون والجذوع والسميم (الحُصر الكبيرة) وجربان التمر، ويشحنونها عبر البحر إلى الإمارة التي يسكنون فيها؛ ليقوموا بتسويقها هناك.

- وعند وصول قافلة العائلة المصطافاة يكون الجيران في الحي بانتظارهم، فيستقبلونهم بالترحاب والتهنئة بالسلامة، ويبادرون إلى إرسال سف الفوالة إليهم من عدة بيوت، وبالمقابل يهدي إليهم العائدون بعض الهدايا التي جلبوها معهم من المصيف.

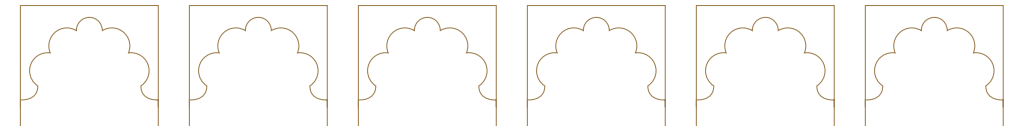
أما المصطافون في مسندم فيكون نقلهم بسفن الشاحوف بعد انقضاء موسم الصيف إلى بلدانهم.

قال أحد الشعراء من أهالي (شعم) عندما أزمعت العائلة المصطافاة في مزرعته الرحيل

يا زارعين الزعفران حشوه واعطوني علوبه  
والقيظ ما طول زمان شهرين والغالي غدوا به

تمثل فعالية (من حق الليلة) أو (من حق الله) كما يسميها البعض، إحدى الفعاليات الاجتماعية ذات الصبغة الدينية التي تقام في نهار الرابع عشر من شهر شعبان، وهي عادة سنوية عريقة، ومنتشرة في كثير من الأقطار العربية والإسلامية، وبالأخص في بلدان الخليج العربي، ولذلك استعصت على الانقراض والتلاشي حتى بعد دخولنا عصر الثورة الصناعية الرابعة! رغم محاولات بعض المتشددین القضاء عليها من خلال التنبيه على كونها بدعة دينية لا أصل لها في الشرع، لكن المتأمل يرى أن هذه الفعالية قد انحسر منها جانبها الديني، وبقي الجانب الاجتماعي، حيث يقوم الأطفال بجمع الحلويات والمكسرات من البيوت التي يطوفون عليها خلال وقت ما بعد الظهر وحتى قبيل الغروب، ولا ترتبط بها عبادة معينة.

ما زلت أتذكر أننا خلال النصف الأول من عقد السبعينيات وحينما كنا ندرس القرآن الكريم في مدرسة المطوعة، في فترة اضمحلال التعليم التقليدي، كانت المطوعة تعفي طلاب وطالبات مدرستها من الدوام المسائي خلال ذلك اليوم، فتقتصر الدراسة على الفترة الصباحية حتى أذان الظهر، لكي يتفرغ الأطفال من الجنسین للمشاركة في هذه الفعالية السنوية الجميلة، فكنا نخرج في مجموعات صغيرة ومع كل منا كيس من القماش طوله ذراع، وله نسعة يُربط بها، فلا ندع بيتاً في الفريج (الحي) إلا وندخله، وأحياناً نتجاوز فريجنا إلى الفرجان الأخرى، وفي كل بيت نجد إحدى النساء جالسة وأمامها قفة كبيرة طافحة بالمكسرات (حلاوة، وبيذام، وجوز، وفول سوداني...)، فيفتح كل منا كيسه لينال حفنة من محتوى تلك القفة، وكان الأطفال قديماً ينشدون أثناء مسيرهم بعض الأهازيج الشعبية ومنها:



عطونا من حق الليلة والا بندبح لعيلة

عطونا من حق الله يرضى عليكم الله

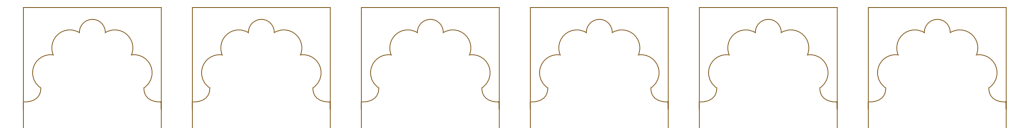
غير أن تحولات الحياة الاجتماعية المتسارعة تركت بصمتها على ثقافتنا القديمة وعاداتنا الأصيلة.

فمع ارتفاع مستوى المعيشة انتقلت الأسر المواطنة إلى مناطق جديدة بعيدة عن قلب المدينة القديم، وصادفت مناسبة حق الليلة في بعض السنوات فصل الصيف الحار، وهذا قلل من مشاركة الأطفال المواطنين في تلك الفعالية، وأصبحت تقام في المدارس والمؤسسات الاجتماعية والمتاحف كنوع من الأنشطة التراثية، وشمل التغيير نوعية المواد الغذائية المقدمة للأطفال، فأصبحت تضم العصائر والبطاطس والبفك نمكي والمصاص وغيرها، وتفنن المنتجون في صنع عبوات خاصة ملونة ذات صبغة تراثية، معبأة بعدة أنواع من المأكولات يجري توزيعها على الأطفال.

## 6. نفحات رمضان في المجتمع الإماراتي قديماً

كان لشهر رمضان الفضيل مكانة خاصة جداً في مجتمعنا المحلي قديماً، فهو مجتمع متمسك بدينه وقيمه، يترقب بشوق المواسم الإسلامية التي ترتبط بعبادات معينة، كالصيام والحج، ليتقرب إلى الله تعالى بالعبادة والطاعات وينال الأجر والثواب الجزيل.

وكان الناس قديماً يعتمدون على رؤية الهلال بأنفسهم، لكن مع تقدم وسائل التواصل كالبرقيات ووصولها إلى (الإمارات) مطلع القرن العشرين، صار بالإمكان تلقي خبر رؤية الهلال من البلدان العربية الأخرى، وخاصة بلاد الحرمين الشريفين، فإذا أكدت الرؤية أمر الحاكم بإطلاق المدفع إعلماً للناس بأن غداً أول أيام الشهر الفضيل، وأحياناً يكلف شخص جهوري الصوت ليتولى الطواف في الحارات والأزقة وهو ينادي: (يا شوم يا لوم، طيعوا معزبكم الليلة صوم)، والمعزب في اللهجة المحلية القديمة تعني: (ولي الأمر)، وهو حاكم الإمارة. فيستبشر الناس برؤية الهلال ويستعدون بإعداد وجبة السحور، وكانت في الغالب تتكون من الأرز والسمك والتمر، وأحياناً الأرز مع اللبن الرائب.



ولا يتخذ الناس من الصيام مبرراً للتكاسل عن أعمالهم ومهتهم حتى في فصل الصيف الحار، لكن كان العرف السائد أنه إذا صادف موسم الغوص على اللؤلؤ (ويمتد من مايو إلى سبتمبر) شهر رمضان فإن نواخذة الغوص يُضطرون إلى العودة إلى البلاد مؤقتاً ريثما تنتضي أيام الشهر، ثم يُحرون إلى المغاصات لاستئناف عملهم، حيث إن هذه المهنة الشاقة لا يمكن ممارستها مع الصوم، وإذا توافقت بداية الموسم مع بداية رمضان فإن سفن الغوص تؤجل انطلاقها إلى ما بعد عيد الفطر، ويستمر تقاطع الشهر مع موسم الغوص عدّة سنوات (كما حصل خلال المدة من عام 1910 - 1922م، ثم من 1944م - حتى اضمحلال حرفة الغوص في نهاية عقد الأربعينيات) إلى أن يتخطى الشهر أخيراً موسم الغوص بحيث يختتم قبل بدئه، ويستمر ذلك لسنوات طويلة نسبياً.



كانت الأسر الفقيرة تفطر على ما يتيسر لها كالتمر والماء والأرز والسمك واللقيمات، أما الأثرياء فإن بإمكانهم إعداد الهريس والثريد والفرنّي والعصيد .

لكن الجميع يُفطر في البداية على الرطب أو التمر والماء عند سماع أذان المغرب، اتّباعاً للسنة المطهرة، ثم يتناولون بقية الأصناف.

وتساعد عملية تبادل الأطباق مع الجيران على إغناء المائدة بأصناف متعددة، ويكون الفقير محظوظاً إذا كان مجاوراً لأحد الأثرياء المحسنين، حيث يتلقى في كل يوم طبقاً من الطعام قبل الإفطار.

وكان الإفطار الجماعي طابعاً مميزاً لمجتمع (الإمارات) قديماً، ومؤشراً على حالة الترابط والألفة بين أبناء الفريج الواحد.

## 7. أواخر شهر رمضان في الذاكرة الشعبية

لأننا في العشر الأخير من شهر رمضان الفضيل الذي أوشك على الرحيل فالمقام يستدعي إلى الأذهان ذكريات هذه العشر في الذاكرة الشعبية الإماراتية.

أ- صلاة القيام: كان الخطباء ينبهون المصلين في خطبة الجمعة لفضل صلاة القيام التي كانت تسمى محلياً (صلاة العُكوف)، وتقام في مختلف المساجد بالفرجان القديمة، ويُخصّص جانب من المسجد ليكون مصلى للنساء اللائي يرغبن في حضور صلاة القيام، وذلك بإقامة حاجز من قماش أشرعة السفن السميكة في مؤخرة المسجد ليصلين فيه، ولم يكن في المساجد مكبرات صوت حينذاك، فكان الأئمة يحرصون على رفع أصواتهم قدر المستطاع ليصل الصوت إلى قسم النساء، ومن الجدير بالذكر أن نسبة هؤلاء النساء اللائي يصلين القيام ضئيلة مقارنةً بمن يحضرن صلاة التراويح لكونها تصلى في وقت مبكر، والأجواء تكون مظلمة بسبب تأخر بزوغ القمر في الأيام الأخيرة من الشهر.

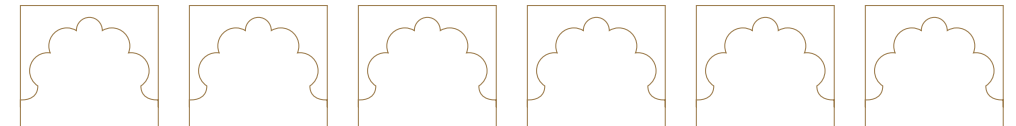
ب- توزيع زكاة المال: اعتاد التجّار وكل من يملك نصاب الزكاة تخصيص شهر رمضان لتوزيع زكاة أموالهم لكون الأجور فيه مضاعفة، وكان الناس يتسامعون بخبر توزيع الزكاة، فكان الفقراء يرتادون بيوت المُزكّين ويتجمعون بجوار قصر الحاكم أو في باحة بيوت الأثرياء في أيام التوزيع للحصول على نصيبهم منها، ويذكر أن بعض تجار اللؤلؤ المحسنين كان يضع بجواره جفيراً كبيراً من الخوص مليئاً بالروبيات المعدنية، فإذا جاءه فقير ملأ كفه منها وأعطاه إياها دون حساب لكي ينطبق عليه الحديث النبوي (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

ج- توزيع زكاة الفطر: وكانوا يطلقون عليها اسم (الفطرة)، فكان الناس في اليومين الأخيرين من الشهر يبعثون أولادهم إلى بيوت الجيران حاملين وعاء مليئاً بالطحين أو الأرز في أيام الرخاء أو من التمر أحياناً، ويطرقون الأبواب طالبين إحضار وعاء ليغرفوا لأهل البيت من الفطرة.

شرع الإسلام صلاة العيدين ختاماً لعبادتين عظيمتين تمثلان ركنين من أركان الإسلام، وهما صوم رمضان الذي يُختتم بصلاة عيد الفطر، وعبادة الحج التي تُختتم بصلاة عيد الأضحي.

وكان الناس يتهيؤون لاستقبال عيد الفطر منذ شهر شعبان، فكان أثرياء المجتمع وعلية القوم يحرصون على شراء كسوة جديدة تناسب مستواهم، وبعضهم يعمد إلى صبغها لتصبح بنية اللون أو مائلة إلى الخضرة، ثم تقوم النساء الخياطات بتفصيلها وخياطتها في غضون أيام، نظراً إلى اعتمادهن على الخياطة اليدوية في ظلّ عدم وجود مَكينات خياطة قبل عقد العشرينيات من القرن العشرين، أما فقراء المجتمع فكان بعضهم لا يجد ما يشتري به كسوة العيد، فيقنع بلبس ثيابه السابقة مع الحرص على أن تكون نظيفة، وكان الرجل الثري يرتدي يوم العيد إزاراً (الوزار) وفوقه كندورة بيضاء أو مصبوغة، بحسب الفصل الذي يوافق يوم العيد، هل هو صيف أو شتاء، ولم يكن لبس الفانيلة تحت الكندورة شائعاً حينذاك، ويتحزم بعض الرجال بحزام وخنجر، ويضع اللاس على كتفه، ويتعصم بشال كشميري أو يلبس فوقه عقالاً، ويحتذي نعالاً مدراسية نسبة إلى مدينة مدراس في الهند.

أما النساء فإن ملابسهن أكثر تنوعاً من حيث: الأصناف والألوان، وتشمل كسوة المرأة الثرية السروال (ويطلق عليه الخَلَق)، والكندورة من أصناف غالية الثمن، أما لباس الرأس فيشمل الوقاية والبرقع، حيث لم تكن العباءة شائعة الاستخدام في الماضي، وتحتذي النساء أيضاً مداساً أو قرحافاً، وكان اليوم التاسع والعشرون من رمضان مثار قلق وترقب لخبر رؤية هلال شوال، فإذا ثبتت الرؤية أو ورد



خبر من السعودية عبر البرقيات قديماً فإن حاكم الإمارة يعلن انقضاء شهر رمضان، وأن اليوم التالي هو أول أيام عيد الفطر، وكان المنادي المكلف بالنداء في الطرقات يقرع طبله وينادي بصوته الجهوري قائلاً: (طيعوا معزيكم الليلة عيد)، فيتبشر الناس برؤية الهلال، ويستعدون لصلاة العيد، وأحياناً يصل الخبر متأخراً لأي سبب كان، فيصلي الناس التراويح ويصبحون صائمين يوم الثلاثين من رمضان، ثم ما يلبث أن يصلهم خبر رؤية هلال شوال بالأمس، فينقضون صيامهم ويفطرون ويتوجهون إلى المصلى وقت الضحى وهم في عجلة من أمرهم.

وقد وقعت حادثة من هذا القبيل في إحدى الإمارات مطلع عقد الستينيات، ولذلك قام القاضي -أمام حشد من الناس المتشككين- بتناول قطعة من الحلوى إشهاراً للفطر وقطعاً للشك، فتوجهوا مسرعين إلى مصلى العيد.

وفي مواسم الرخاء كان عامة الأغنياء يذبحون الذبائح ليلة العيد لعمل ضيافة في صباح العيد لرواد مجالسهم وللتوزيع على أقربائهم وجيرانهم، فكان الطباقون يقضون شطر الليل الأخير في الإعداد والتجهيز وطبخ العيش واللحم والهريس والخبيص، وتُفرش الحُصُر في حوش البيت أو في المجلس وأحياناً أمام البيت، وتوضع عليها صواني الطعام فيتقاطر الناس لتناول الطعام وتهنئة المضيف بالعيد والدعاء له بالبركة قائلين: (اللّهُ بِنِعَمِ عَلَيْكَ وَيَكْثُرُ خَيْرُكَ)، وتدور مباحر العود على الحضور لتطيب ثيابهم.



اعتمد شعب (الإمارات) على الطب الشعبي قبل دخول الخدمات الصحية الحديثة اعتماداً شبه كلي، وهو عبارة عن خبرات علاجية متنوعة ومتراكمة عبر العصور، غذتها التجارب الفردية والاختباس من الشعوب التي تعامل معها أبناء (الإمارات) وتناقلتها الأجيال حتى توفّر البديل الأفضل، وهو الطب الحديث أواسط القرن العشرين.

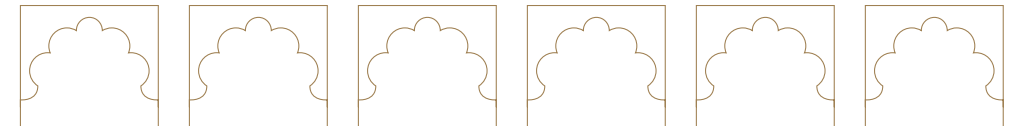
**تعريف الطب الشعبي بحسب منظمة الصحة العالمية:** هو مجموعة المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات، والتي تُستخدم للحفاظ على الصحة، والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية، أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها.

### فلسفة الصحة والمرض والعلاج:

يمثل الدين الإسلامي مصدراً رئيسياً لتصورات الناس في (الإمارات) عن الصحة والمرض والعلاج.

- **الصحة :** هي نعمة من الله تعالى ينبغي أن يُحافظ عليها الإنسان، ويشكر الله عليها باستغلالها في الطاعات؛ لأن الصحة لا تدوم، ويسأل الله أن يُديمها عليه وعلى مَنْ يُحب.

- **المرض :** فقد وُجد لحكمة ربانية، فهو نذير الموت للكائن الحي، وهو ابتلاء من الله لعباده المؤمنين ليُحاسبوا أنفسهم ويُنبّئوا إلى ربهم، وليختبر الله تعالى مدى صبرهم، فيثيب الصابر المحتسب ثواباً جزيلاً ويُخفف عنه من خطاياهم، ويعاقب الجازع المعترض على حكم الله.



- **العلاج :** أمرٌ مشروع بل مأمورٌ به، فعلى المرء أن يسعى لاستعادة صحته إذا فقدتها لما في ذلك من مصالح ظاهرة، بحيث تكون طرق المعالجة مشروعة ليس فيها مخالفة للشرع، كالاستعانة بالسحرة، واللجوء إلى الزار والشعوذة التي تخالف مبادئ العقيدة، أو تناول مواد محرمة.

- وقد وردت هذه المفاهيم في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأصبحت في مجملها تشكل فلسفة للصحة والمرض لعموم المسلمين.

### من أين اكتسب الأطباء الشعبيون خبراتهم في التشخيص والعلاج الشعبي؟

تعددت مصادر الخبرة لدى الأطباء الشعبيين عبر السنين، ومن أهمها:

أ- **التجربة الشخصية:** فقد يُصاب الشخص بمرض أو إصابة عمل، فيلجأ إلى التطبّب بما يكون في متناول يده، فإذا كانت النتيجة إيجابية وشُفي من مرضه فإنه يعتمد نفس الدواء مرة أخرى ويُرشّد غيره إليه.

ب- **التعلم على يدَي طبيب سابق:** سواء من أسرته أو من خارج نطاق مجتمعه.

ج- **الاقتباس من الشعوب الأخرى:** لكل شعب تراثه الخاص في مجال التطبيب، ولديه طرق ناجعة في معالجة بعض الأمراض، فإذا عرفناها استخدمناها وأضيفت تلقائياً إلى رصيدنا من الخبرة الطبية الشعبية.

د- **المؤلفات الطبية القديمة:** يستخدم بعض الأطباء كُتب التراث العربي في الطب للاستفادة من وصفاتها لعلاج بعض الأمراض وخاصة النفسية منها، ولا يخلو بعضها من الشعوذة والطلاسم ككتاب (الرحمة في الطب والحكمة) المنسوب إلى (جلال الدين السيوطي).

أشهر الأمراض التي كانت شائعة في مجتمع الإمارات قديماً:

1- أمراض عامة شائعة: (الحمى، والصداع، والزكام، والسعال، ووجع الضرس).

2- أمراض ناتجة عن إصابات متنوعة: (الفلعة، والجروح، والكسور، ولدغ الزواحف والحشرات).

3- أمراض باطنية: (المغص، والإمساك (القبض)، والإسهال (اطرقة)، وبو صفار، والعاسوق، والمستحي، والقفعة، والفقارة، وعرج الرضاح، والفتاق، واللصة، والطحال، والغيرة (التخمة)، والبواسير).

4- أمراض الجهاز التنفسي: (السعال، والزكام، والحيطة (الربو)، والبلغم).

5- أمراض عصبية: (الفالج (الشلل)، وبو بريجع (اللقوة)، والعصبة).

6- أمراض جلدية: (القرح، والحزاة، والخراي (الخراج)، والحفاة، والسمط، والثالول، والحثوة، والضاروبة).

7- أمراض العيون: (الرمد، والعشى الليلي، والضبضوب، والوغة، وبو الطميج، والشاعب، وعرج الشعاع).

8- أمراض الأطفال: (أم الصبيان، واللفو، وطياح الخلج (اللوزتين)، وطياح الكبد، وبو حمير (السعال الديكي)، والحصبة، والحمجة (الجديري)، وخازباز (النكاف)، والمكروهة).

9- أمراض تناسلية: (بو خيط، والإفرنية (الداء الإفرنجي)).

مجالات الطب الشعبي:

1. العمليات الطبية: الكي، والحجامة، والختان، والتجبير، وعلاج الجروح، والتوليد.

2. الطرق والوسائل العلاجية: المسح، والترفيغ، والترديد، وقبض العصبة، والدوس،

والخوية، والتخبين، والتقميع، وعزل المريض، والعلاج بالماء.

3. الوصفات الدينية: كتابة المحو، والقراءة على المريض، والقراءة في الماء. وتستخدم غالباً في علاج الإصابة بالعين، وعلاج مس الجان، والاضطرابات النفسية.

4. الأدوية الشعبية: تُستخلص من ثلاثة مصادر طبيعية: النبات، والحيوان، والمعادن.

العلاج بالرقية الشرعية:

الرقية الشرعية يقصد بها قراءة الآيات القرآنية أو الأدعية الماثورة، مع النفث على الموضوع الذي يتألم منه المريض، وتعتبر الرقية من أساليب العلاج الشائعة في العالم العربي والإسلامي، وقد اكتسبت مشروعيتها من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. منها قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، سورة الإسراء، الآية (82).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، سورة فصلت، الآية (44).

وتستعمل الرقية الشرعية لعلاج الأمراض البدنية، بل والنفسية، مثل: (الوسواس، والفرع من النوم، والقلق النفسي، والرجفان)، وأيضاً يُرقى المصاب بالعين، والمحسود، والمسحور.

وتتخذ المداواة بالرقية عدة طرق أشهرها:

1. القراءة المباشرة على المريض، مع النفث على العضو المصاب أو البدن كله.

2. القراءة في الماء، ثم سقيه للمريض أو غسل العضو المصاب منه.

3. كتابة المحو في صحن أبيض بالزعفران ثم غسله، وسقيه للمريض أو غسله به.

## مصادر الأدوية الشعبية:

يتوفر بعض الأدوية في البيئة المحلية، وكثيرٌ منها يجري استيراده من الأقطار التي يتعامل معها أبناء (الإمارات) منذ القدم، مثل: سلطنة عُمان، وإيران، والهند، وجزيرة سقطرى، وشرق إفريقيا.

## مصادر المادة الطبية:

وتُستخلص المادة الطبية (الأدوية) من ثلاثة مصادر طبية:

1- النباتات.

2- الحيوانات.

3- المعادن.

وفي مطلع القرن العشرين بدأت الأدوية المُصنَّعة كيميائيًا تأتي إلى المنطقة مع البعثات الطبية التبشيرية، ويُطلق على بائع الأدوية الشعبية اسم (العطار) أو (الحوّاج).

## 1- النباتات:

تعتبر النباتات أغنى مصادر الدواء الشعبي، وتوجد المادة الطبية إما في الأوراق أو الجذور أو البذور أو الأزهار أو الثمار، وأحيانًا في العصارة الغليظة التي تتزُّ من سيقانها عند جرحها.

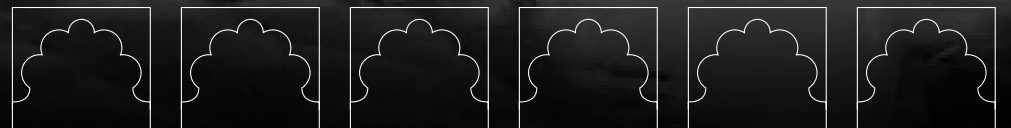
ومن أشهر النباتات الطبية: اليعنبة، والحلول، والزعتر، والحرملة، والقَرْط، والحبة الحمراء، والحبة السوداء، والمصوفة، والأشجر، وعِرج الحيس، وعِرج الصليب،

والفوطن، والمُروخَش، والرمرام، والعسبج، والعرش، والمُحلب، والحلبة، واللومي اليابس، والحنظلان، والزنجبيل، والكركم، والبصل، والثوم، والتمر. ومن الصموغ: الأُر، والخيل، والصبر، والظيئة، واللبن المائل، والعنزروت، والمُقل، ودُم الأخوين، والجواشير، والعَبَق، والدامر.

ومن الزيوت النباتية: حل الدم، وحل الحلو (حل السمسم).

## 2- الحيوانات:

استخدم الإنسان منذ القدم منتجات الحيوان وأجزاء من أعضائه ومُخلفاته في صنع دوائه، ومن أهم الأدوية الحيوانية المستعملة في (الإمارات) قديمًا العسل من النحل، وعنبر الزُّرق من حوت العنبر، والسمن الذُوبة من البقر، والمسك من غزال المسك، وشعر الماعز، والظفور من الرخويات البحرية، ولحم الحما (المحار)، والشنيوب (السلطعون)، ومزن الصل من زيت كبِد القرش، والظُّلوف من أقدام الماعز.



## 10. الأوبئة والأمراض المعدية في مجتمع الإمارات قديماً

يمثل تاريخ الأحوال الصحية جانباً مهماً من تاريخ المجتمعات الإنسانية، حيث تتأثر مختلف جوانب الحياة بمستوى الصحة العامة لأفراد المجتمع، ويمكننا تلخيص الأوضاع الصحية في (الإمارات) المتصالحة قبل دخول الطب الحديث في النقاط التالية

أ- الاعتماد شبه الكلي على الطب الشعبي المبني على استعمال الأدوية الشعبية والرقية الشرعية وغيرها من الممارسات التقليدية المتوارثة؛ لمعالجة الأمراض البدنية والنفسية.

ب- تفشي أمراض سوء التغذية، بسبب الفقر وقلة الغذاء، وخاصة بعد تدهور حرفة الغوص على اللؤلؤ وتضرر الاقتصاد الوطني بشكل كبير.

ج- ارتفاع نسبة الوفيات لدى الأمهات والأطفال الرضع؛ بسبب عسر الولادة، وسوء التغذية، وانعدام التطعيم.

د- سفر بعض المرضى المقتدرين إلى الهند بحرّاً لتلقي العلاج في مستشفياتها.

هـ- انتشار الأوبئة المعدية الفتاكة على شكل موجات وبائية سريعة الانتقال من بلد إلى آخر.

و- وجد المبشرون المسيحيون مجالاً واسعاً جداً للعمل، حيث يمثل تطبيب المرضى إحدى أهم الوسائل التي اتبعتها الجمعيات التبشيرية لاستمالة المسلمين نحو الدين المسيحي، فكان العلاج بمثابة طعم لصيد المرضى تحت شعار (التبشير أولاً، والعلاج ثانياً).

وقد تردد عددٌ من المبشرين الإنجليز والأمريكان إلى (الإمارات)، وأقاموا أوقاتاً قصيرة عالجوا خلالها أعداداً كبيرة من المرضى، وكوّن بعضهم علاقات طيبة مع الشيوخ، إذ قدموا لهم خدمات علاجية متنوعة، ومن أبرز هؤلاء الأطباء أ- شارون توماس (كان الناس يسمونه طمس): زار دبي والشارقة عام 1902م.

ب- ستانلي ميلري: زار دبي والشارقة عام 1908م.

ج- بول هاريسون (كان الناس يسمونه هريسَن): زار مختلف إمارات الساحل عام 1919م، وكان طبيباً جراحاً، وكان الشيوخ والأثرياء يستدعونه لمعالجتهم. وأقام أول مستشفى بدائي في (عجمان) بتمويل ودعم من الوجيه الثري (ناصر بن عبيد آل لوتاه)، وعالج فيه وأجرى عمليات جراحية، لكنه لم يستمر طويلاً.

عانت المجتمعات البشرية عموماً، ومجتمعات الخليج العربي خصوصاً، موجات الأوبئة التي لم يكد يسلم منها بلد من بلدان الخليج حتى النصف الأول من القرن العشرين، وأهمها: الجدري، والطاعون، والكوليرا، و الملاريا، كل ذلك كان يؤدي إلى حدوث وفيات بالجملة تنتج عنها خلخلة سكانية ملحوظة، هذا إلى جانب الأمراض التي هي أقل انتشاراً، كالتيفوئيد، والسل، والأنفلونزا، والجرب، والجذام، وبعض الأمراض التناسلية.

وهناك العديد من العوامل السلبية التي ساعدت على انتشار الأوبئة وفتكها بالسكان فتكاً ذريعاً في غضون مُدَد وجيزة نسبياً، ومن أبرز تلك العوامل

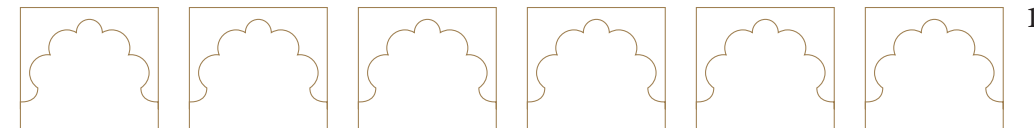
1. ضعف الوعي الصحي لدى الشريحة الكبرى من المجتمع؛ بسبب تفشي الأمية والجهل، حيث كان التعليم العام دينياً بسيطاً، ولم تجد العلوم الحديثة سبيلها إلى مجتمع (الإمارات) إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

2. فكان أفراد أسرة المريض، وخاصة القائمين على خدمته وتمريضه، يلمسونه أو يلمسون إفرازاته الملوثة أو يستنشقون الميكروبات من هواء زفيره، مع الجهل بالإجراءات الوقائية اللازمة في هذه الحالة.

3. انخفاض مستوى المعيشة وقلة النظافة، وانعدام وجود المرافق الصحية كدورات المياه الحديثة وخدمة الصرف الصحي وحوايات القمامة، إضافة إلى عدم توفر الشروط الصحية في مياه الشرب التي تُجلب من الآبار بواسطة ربات البيوت أو الحمَّارين باعة الماء، ثم تخزينها في البيوت داخل أوعية فخارية تشكل مرتعاً ليرقات البعوض.

4. تلوث البيئة بالمخلفات الآدمية والحيوانية، وكثرة الحشرات الناقلة للأمراض، وعلى رأسها الذباب الذي لم يكن القضاء عليه ممكناً قبل نشأة البلديات الحديثة، واضطلاع قسم الصحة فيها بمكافحة الحشرات من خلال رشها بالمبيدات بشكل دوري.

5. الافتقار إلى الخدمات الصحية الحديثة، إذ لم تكن ثمة مستشفيات أو عيادات حديثة، سوى بعض الإرساليات التبشيرية التي كان أفرادها يقيمون في مقر مؤقت بإحدى (الإمارات) مدة بضعة أيام، يتقاطر خلالها عليهم المرضى سعياً إلى العلاج.



6. عدم الالتزام بالبقاء في البيوت في بداية تفشي الوباء للحد من العدوى، بسبب الحاجة الماسة إلى كسب لقمة العيش، حيث كانت الغالبية العظمى من سكان المدن تكسب قوتها من العمل في البحر أو من التجارة أو الحرف اليدوية والخدمات في الأسواق.

إضافة إلى التشدد في حضور الصلوات الخمس جماعةً في المساجد بالنسبة إلى الذكور، وخاصة صلاة الجمعة، فكان اختلاط الناس في الأماكن العامة (المساجد، والأسواق، والمجالس، والسفن...) سواءً بالمصابين أو بمن مرضهم لا يزال في طور الحضانة أو بالناقهين، من أهم أسباب انتقال العدوى.

كانت الأوبئة تصل إلى (الإمارات) قديماً عبر بعض المسافرين القادمين من بلدان موبوءة، أو بسبب القوارض كالفئران التي تنقل الطاعون الدملي، في وقت لم يكن فيه محاجر صحية يُجبرون على المكوث فيها مدة معينة ريثما تثبت سلامتهم من الإصابة بمرض معدٍ، ولذلك كان إلزام بعض أبناء (الإمارات) آنذاك بدخول المحجر عند زيارتهم للبلدان الأخرى مثاراً لاستغرابهم واستنكارهم، وعبر عن تلك النظرة أحد الشعراء بقوله

مِنْ دَخَلَ بَيْتَ الْكَرْنَتَيْنِ      لَازِمٌ إِشْنَتَرُولُو صَاحِي

وَاجِفِ الدَّخْتَرِ بِسَكِينِهِ      مِستَوِي لِلنَّاسِ ذَبَاحِ

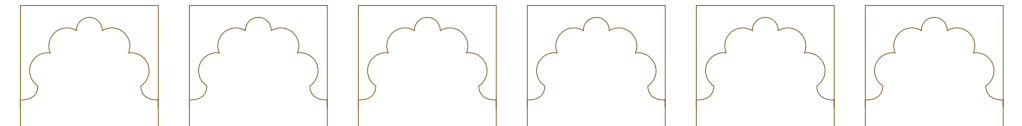
الْغَرِيبِ الزُّورِ مَوْزِينِهِ      لِي لِفَاكَمِ يَاي بَافْرَاحِ

مِنْ هَهِمُ هَذَا مَجْرِيْنِهِ      طَيْرُهُمْ يَزْقُرُ بِتِلْوَاحِ

ويذكر أن رجلاً كويتيًّا اسمه (مساعدة بن عبد الله العازمي) في أواخر القرن التاسع عشر كان قد تعلم مبادئ الطب في مصر، وتدريب على القيام بعملية التطعيم، وقد وصل إلى (الإمارات) وأخذ يجري التطعيم للراغبين؛ لكنه تعرض للمضايقة من بعض الجهال وعلماء الدين المتشددين، ويذكر أن الشيخ (صقر بن خالد القاسمي) -حاكم الشارقة- (1883 - 1914م) قد تطعم حسبما ذكره المؤرخ المحلي (يوسف بن محمد الشريف).

ومن الجدير بالذكر أن اثنين من شيوخ بلدة الحميرية التابعة للشارقة قد توفيا بسبب إصابتهم بالعدوى في موجات الأوبئة، وهما (الشيخ سيف بن عبد الله بن رحمة الدرويشي) (ت 1848م)، وحفيده (سيف بن عبد الرحمن) (ت 1904م)، ثم توفي الشيخ (صقر بن خالد القاسمي) لنفس السبب في عام 1914م، الذي سمي مجازاً باسم (سنة الرحمة)، وقد فنيت فيه بيوتات كاملة.

وأدرك الناس منذ القدم ضرورة عزل المصابين ببعض الأمراض المعدية، وأبرزها الجدري والجذام، فكانت تُخصص لهم أماكن بعيدة عن المناطق السكنية، ويقام لهم أكواخ بسيطة من الجريد يقيمون فيها، ويطلق على المجدورين محليًّا اسم (المَيِّدَر)، والمفرد (مَيِّدور)، وعلى المجذومين اسم (المَيِّدَم)، والمفرد (مَيِّدوم).



ويقوم على رعاية أولئك المرضى المعزولين وتوفير متطلباتهم البسيطة أناسٌ لديهم مناعة من المرض سبق أن أصيبوا به وشفوا منه، وكان المصاب بالجدري يُنصح بغسل عينيه بالبول ليقيهما من العمى من جراء انتشار الطفح على الوجه.

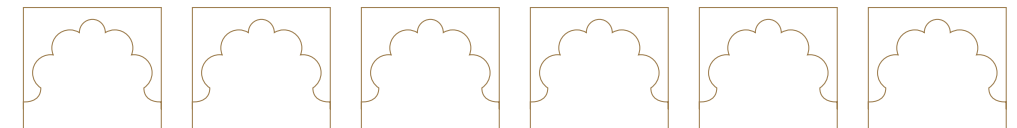
يتناقل مواطنو (الإمارات) عبر الواتساب بشكل شبه يومي فيديوهات قصيرة تحت عنوان (زمن الطيبين)، وهي تحتوي على لقطات تصور جوانب متنوعة من الحياة الشعبية في مجتمعنا المحلي يعود أغلبها إلى عقدَي السبعينيات والثمانينيات، وبعضها إلى عقد التسعينيات، والقليل منها ما يعود إلى الفترة التي سبقت قيام الاتحاد، وهناك أكثر من حساب شخصي على الإنستجرام وتويتر مختص بجمع وبحث هذه الفيديوهات والصور التاريخية والتراثية القديمة.

وتكمن أهم الدوافع وراء إنشاء مثل تلك الحسابات في النقاط التالية:

أ- إشباع نزعة الحنين إلى الماضي لدى جمهور المتابعين، الذين يشعرون بحنين جارف إلى استعادة ذكرى مرحلة الطفولة والصبا، والأنماط الحياتية البسيطة التي كانت سائدة في المجتمع الإماراتي قبل النهضة الحديثة.

ب- تزويد الباحثين في التاريخ والتراث بما يتحصل لديهم من مواد فيلمية وصور فوتوغرافية نادرة من شأنها أن تثري بحوثهم ودراساتهم بالجديد دوماً.

ج- تعزيز قيمة الأصالة والاعتزاز بالهوية الوطنية في نفوس مواطني (الإمارات) من خلال تذكيرهم بماضي مجتمعهم وبكفاح جيل الأجداد في سبيل العيش الكريم.



لقد استوقفتني عبارة (زمن الطيبين)، وتساءلت بيني وبين نفسي: لماذا أُطلق على أبناء تلك الفترة اسم (الطيبين)؟ فوجدت أنها مسألة نسبية وليست ثابتة، فلقد عرضت أحد الفيديوهات من هذه المجموعة على مواطن سبعيني مخضرم عاش مرحلة شبابه قبل الاتحاد ولا يزال على قيد الحياة، وكان الفيديو يصور سوقاً محلية في حقة الثمانينيات، التي أصبح مواليدها اليوم في الأربعينيات من العمر، فعلق الرجل قائلاً: (ليس هذا المشهد قديماً.. إنه صورة عما كان بالأمس القريب) لأن القديم في نظره هو ما كان عليه المجتمع في حقبة الغوص على اللؤلؤ حينما كان هو في مرحلة الطفولة.

إن كل جيل ينظر إلى الجيل الذي سبقه، وهو جيل الآباء، باعتباره جيل الطيبين الذين كانت الحياة في شبابهم أكثر بساطة وأقل تعقيداً مما هي عليه في عالمنا المعاصر الذي يتسارع فيه التغير الاجتماعي بوتيرة لم تشهد لها البشرية مثيلاً، وهو ما شكل تحدياً لحكومات العالم ووضعها في سباق مع الزمن للتكيف مع متطلبات المرحلة القادمة، فقلت في نفسي: إن جيل الشباب المعاصر سيُطلق عليه في منتصف القرن الحادي والعشرين (جيل الطيبين)

كانت للمواد الغذائية قديماً أهمية كبيرة في نفوس الناس، وذلك لعدة أسباب منها:

- صعوبةُ تحصيل لقمة العيش.
- غلبةُ الفقر على السواد الأعظم من السكان.
- مرورُ المنطقة بمجاعات في أزمنة تاريخية متقطعة، آخرها كان في فترة الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م).
- حثُ الإسلام على الاقتصاد في المعيشة، والترهيب من البطر المؤدي إلى زوال النعم.

ولذلك كان الناس يصفون الطعام بأنه (نعمة الله)، ويستتكرون رمي بقايا الطعام أو التخلص منها بطريقة غير لائقة، باعتبار ذلك كُفْراً للنعمة يُنذر بزوالها.

وللغذاء بنوعيه المأكول والمشروب، ثقافته الخاصة لدى شعوب الأرض جميعها دون استثناء، ويتضح ذلك من خلال:

1. المباح والمحظور من المواد الغذائية، بحسب الأديان التي تعتقها تلك الشعوب، ومتى يُسمح بتناول شيء منها اضطرارياً، والعقوبات المترتبة على الاستهانة بتحريمها.

2. خصوصية البيئة الطبيعية وما توفره لساكنيها من مواد غذائية أصبحت متأصلة في التراث المادي لأبناء تلك البيئات كتناول التمر والأرز في (الإمارات).

3. الأصيل والدخيل من الأصناف الغذائية والعوامل التي ساعدت على اقتباسها.

4. نظام الوجبات من حيث مواعيدها والأصناف التي يجري تناولها في كل وجبة.

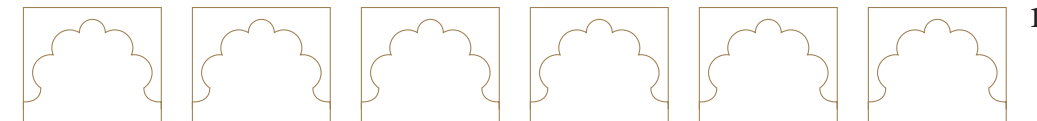
تتميز موضوعات التراث الشعبي بالتنوع والثراء والجمال والطرافة، فهي تشمل مختلف جوانب الحياة الشعبية المادية منها وغير المادية، ولها بعد إنساني حيث تغذي الحنين إلى الماضي واستلهاً تجارب الأجيال الماضية في مسيرة الحاضر والمستقبل، ولذا فإنها تمثل مجالاً واسعاً جداً للبحوث والدراسات من جانب المختصين بالفلكلور والمثولوجيا والأدب الشعبي والصناعات التقليدية... إلخ، وينبغي أن تسير الجهود البحثية عملية جمع واسعة النطاق للتراث الشفاهي، الذي يمثل المادة الخام لتلك البحوث والدراسات، وهذا يستلزم تأهيل كوادر مدربة لإنجاز هذه المهمة، وهي عملية لا تقف عند حدود زمنية معينة، بل ستظل الحاجة إليها مستمرة ما دام التاريخ الشفاهي يمثل رافداً من روافد المعرفة الإنسانية.

الباب الأول: موضوعات خاصة بعلم الأنساب 13

1. غريزة البحث عن الجذور والأسلاف. 14
2. أنساب الآباء المؤسسين لدولة الاتحاد المباركة. 18
3. أنساب حكام الإمارات المعاصرين. 20

الباب الثاني: قضايا التراث الشعبي والمؤسسات التراثية 23

1. التراث الشعبي والتغير الاجتماعي 24
2. تأهيل العاملين في مجال التراث الشعبي. 32
3. كنوز الذاكرة الشعبية. 38
4. أهمية تدوين السيرة الذاتية لرجال الإمارات. 44
5. ألعابنا الشعبية في سبيلها إلى الاندثار. 46
6. تراثنا الشعبي.. ماذا نأخذ منه؟ وماذا ندع؟ 48
7. متاحف التراث الشعبي في دولة الإمارات. 52
8. الحصون والأبراج في التراث المعماري الإماراتي. 58
9. التوعية الثقافية. 62



الباب الثالث: مشاريع مُقترحة 65

1. مشروع إنشاء مُتحف للنخلة. 66
2. مشروع (موسوعة أعلام الإمارات). 70
3. مشروع استكمال توثيق التعليم شبه النظامي في دبي. 72
4. مشروع مقترح بشأن التراث المكتبي لإمارة دبي. 76
5. مشروع مكتبة الشعر الإماراتي. 78
6. مشروع دراسة تواقع وأختام شيوخ الإمارات. 80
7. توثيق فعالية المقيظ وأدبياته. 82

الباب الرابع: الحياة الثقافية في مجتمع الإمارات قديماً وحديثاً 85

1. مصادر الثقافة المحلية في الإمارات قبل النفط. 86
2. مُثقفونا الأوائل ومعاناة الحصول على الزاد الثقافي. 90
3. المكتبات القديمة في الإمارات. 92
4. تدوين الأدب الشعبي. 94
5. مجالس الشعر والأدب في مجتمع الإمارات قديماً. 100

## الباب الخامس: الأدب الشعبي واللهجة المحلية

1. دبي وشيوخها في قصيد الشاعر راشد الخضر. 106
2. الشاعر (ابن شيخان السالمي) في دبي. 108
3. حول انقراض الأهازيج الشعبية. 110
4. الحاجة إلى موسوعة شاملة لأمثالنا الشعبية. 114
5. تحولات اللهجة المحلية في الإمارات. 118
6. مفردات عالم الكتب والكتابة في اللهجة الإماراتية قديماً. 126
7. العاهات في اللهجة المحلية والأمثال الشعبية. 130

## الباب السادس: فعاليات اجتماعية واقتصادية متنوعة

1. المجلس في تراث الإمارات الاجتماعي. 138
  2. الشرائح الواعية والمستنيرة في الإمارات خلال النصف الأول من القرن العشرين. 140
  3. التبادل التجاري بين الساحل والداخل في مجتمع الإمارات قديماً: 144
  - أ. النشاط الاقتصادي في مدن الساحل. 144
  - ب. التبادل التجاري بين البادية والمدن الساحلية. 146
  - ج. التبادل التجاري بين القرى الزراعية الجبلية والمدن الساحلية. 148
  - د. التبادل التجاري بين الواحات الزراعية والمدن الساحلية. 150
  4. المقيظ. 154
  5. (من حق الليلة) بين الماضي والحاضر. 158
  6. نفحات رمضان في المجتمع الإماراتي قديماً. 160
  7. أواخر شهر رمضان في الذاكرة الشعبية. 164
  8. من مظاهر الاستعداد للعيد قديماً. 166
  9. الطب الشعبي في الإمارات قديماً. 170
  10. الأوبئة والأمراض المعدية في مجتمع الإمارات قديماً. 178
  11. زمن الطيبين. 184
  12. ثقافة الطعام. 186
- ## الخاتمة
- 188